الحسين أيت بها

# هواجس الضياع

رواية





# هواجس الضياع

الحسين أيت بها

المؤلف: الحسين أيت بها

الكتاب : هواجس الضياع

تصميم الغلاف والتنسيق الداخلي للكتاب: نور الدين الوادي

صورة الغلاف: احسان الجيزاني

الطبعة الاولى:2019

ISBN: 978-619-91054-0-52018

---



---







---

**جمهورية بلغاريا – بلوفديف**

**ФирмаБадер**

**www.darawesh.com**

**daraldarawesh@gmail.com**






# هواجس الضياع

## رواية


## الحسين أيت بها









ФирмаБадер

**جمهورية بلغاريا – بلوفديف**

**2019**






# نبذة عن المؤلف:

**الحسين أيت بها**

**من مواليد زاكورة/ جنوب المغرب.**

**أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي، اللغة العربية/أكدز، زاكورة.**

**له عدة مقالات نقدية وأدبية متفرقة، منشورة في عدة منابر ثقافية.**

كل شخصيات هذه الرواية وأحداثها هي من وحي خيال الكاتب، وأن أي تطابق بينها وبين الواقع هو مجرد صدفة.

# إهداء:

إلى أبي في ذكراه الثالثة

إلى أمي الغالية

إلى أخي التوأم

الذي شجعني على تتمة هذا الحرف.

"الكل باطل وكل شيء عبث"

نيتشه

"ينقص الآباء أشياء كثيرة ليلدوا أبناء"

نيتشه

"الألم يجعلنا أرستقراطيين نعتزل الناس"

نيتشه

"نحتاج بعض الجنون في حياتنا العاقلة المملة" .

نيتشه

في الجنون سعادة أكيدة لا يدركها إلا المجانين

جون دارايدن

إن الجنون يغري لأنه معرفة...

ميشيل فوكو

## حنين

يحركني حنين ذكريات بعيدة في هذه القرية الصغيرة النائمة على ضفاف وادي يابس، وقد احتضنته الشمس بلهيبها الدافئ.

****

## هموم:

من شطآن بحر الهموم يعتصر قلبي فيض من الأحاسيس الجياشة فأتخيل

قريتي وهي مرتمية في قعر بحر لانهاية له.

****

## ذات منكسرة:

ينتابني شعور محبط وأنا أتذكر السنين التي مضت كانت سنين عجاف، وأنا أهيم في ذاتي المنكسرة، وأعيش بذكريات هامشية استولت على جزء من كياني.

****

## أشباح:

في قريتي الصغيرة يرقد الناس كالموتى أشباحا قد لفظتهم الحياة مرت هذه السنوات بسرعة كالبرق، كبر وكبرت معه أشياء لم يعرف حقيقتها المرة زهاء عشرون سنة الفارطة.

****

## خواء:

يقتل المرء شعور بالخوف والخواء من كل شيء.

****

## عدم:

أنا لا شيء، أنا الموت وكل شيء عدم

****



# الفصل الأول:

# الشفاء

وأخيرا انكشف الغطاء، فتدلى منه وجه صديقي عبد العالي، وهو في حالة وجوم يتفقد الناس من حوله، باستغراب كبير، وكأنه خرج إلى الدنيا لأول مرة، يراقب عن كثب بتيقظ وحذر شديدين، كنت تلك الليلة على غير العادة مشغول البال، والتفكير، في أمر عبد العالي، فقد أحضرناه منذ أسبوع أنا وأخوه عبد الرحمان، بغرض الكشف عن حالته الصحية والعقلية، وقد جئنا به عند هذا الطبيب لكي يكشف عنه، فكان لزاما علينا أن ننتظر لأيام إلى أن أخبرنا الطبيب بأنه سيعطيه بعض العقاقير والأدوية، بعد تخديره، وقد جعلنا هذا الكلام نطمئن، إلا أن الطبيب تابع حديثه وهو يعاتب عبد الرحمان على إهماله، قائلا له بأن إمكانية شفائه منذ الوهلة الأولى واردة، لكنكم تأخرتم في ذلك، والحق أنني أحسست بطمأنينة رهيبة بعد كلام الطبيب، كما أنني كنت متيقنا بأن عبد العالي، سيعود إلى رشده كما كان في السابق بالرغم مما وقع من أحداث أوصلته لما هو عليه، كانت ليلة كأنها الدهر، فقد انتظرنا طويلا، ولم أستطع النوم، إلا أنني غفوت في الساعات الأولى من الفجر قليلا، فرأت عيناي نصف جسد ملقى هناك بإهمال وكأن أحدهم تخلى عنه، كان ذلك هو جسد عبد الرحمان الملقى على الأرض، لقد كنا في حالة تيهان وضياع، لدرجة أننا افترشنا الأرض عوض مقاعد المستشفى، فبدونا أكثر الناس إثارة للشفقة، وجعلنا أنفسنا عرضة لكل من هب ودب في الساعات الأخيرة من تلك الليلة، وحينما أفقت، نظرت من الزجاج، رأيته قد نهض وفتح عينيه وهو يراقب الناس في حذر شديد، فسرت في جسمي قشعريرة، أصابتني بالهلع، وتساءلت مع نفسي، يا ترى؟ هل سيعرفني؟ بعد كل ما قمت به من أجله، يا لها من لحظة مؤلمة ورهيبة، كانت من أصعب لحظات حياتي، كنت أعد تلك الساعة ما بين الثامنة والتاسعة، بالدقائق، فبدت كأنها يوم آخر انسلخ من ذلك النهار، وتمادى عليه، كنا هناك ننتظر الطبيب الذي سيطلعنا على حالته، ويخبرنا بآخر تطورات صحته العقلية، أخيرا حظر الطبيب، فطلب

من الممرضين الدخول معه، في حين استأذن آخرون بعد انتهاء مهمة فك الضمادات على رأس عبد العالي، وقد بدا عبد العالي مندهشا، من لطف الممرضين وهم يقومون بعملهم بشكل مدهش، دخل الطبيب ومساعديه، وأخذ معه الباب، أما نحن فبقينا منزوين خلف الزجاج والنوافذ نتلصص وننتظر، في لهفة شديدة واندهاش ورهبة وخوف لم نعتده من قبل، كان عبد الرحمان متوترا، وقد بدا ذلك على قسمات وجهه، أظن أنه هو الآخر لا يصدق أن عبد العالي سيعود لحالته الطبيعية، وأظنه أيضا يتعجب من قدرة هذا الطبيب على إرجاع عقل عبد العالي، ويتعجب من هول الموقف، أما أنا فقد انتهيت وأصبحت أقف هناك في صمت وذهول ، أترقب في صمت ما يحدث، كان الأمر أشبه بحلم، وقد خيل إلي أنني عشته في يوم من الأيام. وبعد لحظات انفتح الباب، فخرج الممرضون تباعا، كان آخرهم الطبيب الذي توجه نحونا، وهمس لي، فحلقنا حوله، في محاولة يائسة منا سماع كلماته المتقطعة.

قال لي:

-المريض في حالة جيدة الآن، لكنه يحتاج لبعض الوقت لتذكركم، لا تضغطوا عليه، سيتذكر كل شيء، مع المدة، ثم أمرني بالمرور إلى جهة الاستقبال، لإتمام الإجراءات التي اتفقنا عليها مسبقا،

حمدت الله في سري، ثم قلت له:

حسنا، سأفعل سيدي،

حاضر.

بعد ذلك، ولجنا الغرفة بلهفة فوجدنا أنفسنا في مقابل عبد العالي، وسرعان ما تبسم في وجوهنا،

بينما أسرعت أنا فأمسكت بيده مربتا، في ذلك الوقت كدت أبكي، وفقدت السيطرة على مشاعري.

فتلعثمت في كلامي،

قلت له:

الحمد لله على سلامتك يا صديقي.

كان مندهشا منا لكنه عرفنا، وتبسم في وجهي، فشعرت بفرحة عارمة، لأن تلك البسمة انطفأت منذ مدة، بسبب تيه عقله وفقدانه بوصلة الشعور، أحسست بأنه يعرفني ويحاول أن يقول شيئا، لكن التعابير خانته، أما عبد الرحمان فقد حياه ثم قفل راجعا إلى الوراء وكأنه لا يصدق خبر شفاءه، أو أنه شك في ذلك، مهما يكن فقد أنستني فرحتي ملاحظة تصرفاته الغريبة في حق أخيه عبد العالي، وسرعان ما تذكرت أنني من ألح عليه في مداواته، ولولاي وإيماني القوي برحمة الله، وكرمه، لبقي عبد العالي في ظلامه إلى الأبد.

****

الحمد لله الآن شفي عبد العالي، فأنساني هذا المشهد الجميل مأساته وحكايته التي عمقت جراحي، وجعلتني أفقد الكثير من نفسي وذاتي، الحكاية التي أرهقتني وأنا أسمعها من الناس، هذه الحكاية التي تعيد نفسها عدة مرات، حكاية مأساوية ومؤلمة، أبكتني وجعلتني أتوقف عن السرد مرات ومرات، يبدو أنكم في شوق لمعرفة قصته، ولكم الحق في ذلك، أما بالنسبة لي فقد آن الأوان لنفض الغبار عن خلاصات قصة صديقي عبد العالي، والتخلي عن هم كان يراودني أيام وأيام وأنا أعيش في القرية، متتبعا ظل صديقي عبد العالي، المعروف بالهداوي،

****

# الفصل الثاني:

# الجنون والعظمة

أريد أن أقول، أن أتكلم، أن أبوح بما يخالجني فأعجز، أريد أن أطمئن على صحته لكنه لا يبالي، عبد العالي ساقه القدر ليكون نموذج الرجل الطيب المجنون والمظلوم على وجه البسيطة، كيف يمكن له أن يتحرر من قبضة الأرض الذي ترعرع فيها؛ هاجرها وهو مكره، وجن فيها وهو مكره، لكن ليس للطيبين مكان، الطيبون هم من يرحلون دوما ويتركون الأشرار يعيشون حياة سعيدة.

ليس هناك كتاب يستطيع أن يسرد حكاية عبد العالي، ولا أنا أستطيع فكلامي لم يعد له صوت، يا أهل القرية، تذكروا شخصا كان معكم وكان في يوم من الأيام سيد الرجال.

****

أنا متعب وغير قادر على الكلام، لأن قصة عبد العالي أتعبتني وجعلتني أعيد ترتيب أفكاري، فقصة جنونه لم تكن وليدة الصدف، حينما سمعت بجنونه لم أتفاجأ غير أنني لم أتصور أن يصل لهذه الدرجة من الجنون.

الجنون قاس ومؤلم، والمحيطين بالمجنون يعرفون شدة ما يعانون منه جراءه، المجنون يبعثر أوراق الناس من حوله، يحدث فوضى لا تليق، المجنون يصيب عائلته بعار لا يندمل وألم لا ينتهي، الجنون عذاب وألم في نفس الوقت.

قصة هذا الرجل قتلتني وحطمتني، جعلتني أوقف الكتابة وأعيد التمعن بين حياته السابقة، والحياة الحالية، فهو صديقي أنا الذي أحبه، حينما رآني عرفني قال لي اسي عبد المجيد كيف حالك، أراد أن يحتفل بي على طريقته الخاصة، غير أن المشهد كان مضحكا ومبكيا في نفس الوقت،

لا أملك العبارات لأصف لكم المشهد، لكن يمكنني القول بأن كل مجنون يحمل مشاعر قديمة، لقد أصابني المشهد المأساوي بالرعب، حينما أراد أن يمنحني كأس الشاي الذي أعده بطريقته الخاصة، سكب العلبة بالكامل، ثم ناولني إياها، شربت القليل منه لأنني كنت في حضرته، لم أكن أريد معارضته فيما أمرني به، ولم أرد أن أفسد عليه حفلته التي أقامها شرفا لي .

آه، هل الآلام والعذابات في هذا العالم مصدرها الإنسان؟، حقير هذا الذي تسبب له في ذلك، أخوه عبد الرحمان كان ظالما جاحدا، كيف أمكن له أن يفعل ذلك ويتركه بعد مرضه، وبعد أن قام بتكبيله، لمدة أيام معدودة، وهو يعاني ويصرخ بأعلى صوته، فتارة ينادي أمه وتارة يستعطف أهله بأن يفكوا وثاقه، كبلوه لأنه كان يحدث الفوضى، لقد قام بضرب أحد أبناء عبد الرحمان، وكسر عدة أواني، لذلك أحضروا له مشعوذ القرية الذي قام بربطه، وإجباره على شرب الدواء الطبيعي، وعوض أن يهدأ، ساءت حالته، غير أن صوته خفت وأصبح وديعا، لذلك قام عبد الرحمان بإطلاقه.

مرت الأيام وعبد العالي لازال في الشمس حتى كبرت أظافره وبدأ شعره ينمو بشكل كثيف، لقد تحول إلى رجل وديع يجلس في الشمس بجانب أبناء أخيه، حتى عبد الرحمان رق لحاله فأطلقه.

****

جنون عبد العالي كان مفاجئا ومؤلما في نفس الوقت، آه هل تغيرت القيم وتبدل حال الإنسان؟، أم أن الجهل هو الذي قبع للناس وفعل فعلته ؟، آه، منظر صديقي مؤلم. لا أخفيكم أن قدماي لم تعد قادرتان على حملي، لقد سقطت من هول الصدمة، وأنا أرى ذلك المنظر، عبد الرحمان أخوه منحه

الدار القديمة للسكنى، وهذا يعني أنه تركه وانصرف، لكن الناس كانوا يعتنون به، الدار القديمة فوق الهضبة كانت ملاذه وملجأه الوحيد.

آه، إنني أحترق على شاب له مستقبل كبير، لقد كان عبد العالي أحسننا أخلاقا وأدبا وعلما، لأنه ترك الدراسة وسافر كان يؤمن بالحرية، والتي لا تقدر بثمن، هو حتى الآن يعرف هذه الحرية التي اكتوى بنيرانها، وحمل وزرها وكأنه طائر مسجون في قفص حديدي.

****

كنت في فناء المنزل، منشغلا ببعض الواجبات المنزلية، فجأة سمعت أحدهم يركض بسرعة في الخارج، وهو يناديني:

-المجنون، الهداوي

-صاحبك، سينتحر؟

اسي عبد المجيد...

-تعال بسرعة؟

فتركت كل ما في يدي مهرولا خارج الدار كالهائم، بعدما سمعت كلامه.

عند وصولنا، وجدته فعلا، إنه صديقي الهداوي، وقد صعد فوق عمود هناك وهو في حالة هياج.

يريد أن يهوي أسفل القنطرة، والناس ينظرون من بعيد ويلوحون بأيديهم له لكي ينزل، لكنه يتجاهلهم.

آه، يا له من مشهد مؤلم، حاولت لفت انتباهه ملوحا بيدي، لكنه لا ينظر نحونا.

سمعته يلهج بكلام كثير، حاولت تبينه فلم أفهم منه شيئا، لم أفهم سوى كلمته، التي يرددها دوما وهي مقتبسة من الفيلسوف الألماني نيتشه:

-أيها العقلاء،

كان يهذي بكلام وكأنه منزعج من شيء ما، وكأن روحه ستخرج من حلقه، ضاع الكلام معه، واختلطت أصوات الناس بصوته، ولم يعد هناك وقت أو مجال، ولابد من التدخل سريعا، لذلك لم يجد المنادي أحدا غيري يناديه، لأنني قريب الهداوي وصديقه الحميم، وعلي الآن إثبات أنني جدير بثقته، ومحاولة ثني الهداوي عن القيام بحماقة قد تودي بحياته، والناس يعولون علي كثيرا، اندفعت صوب الجموع، واقتربت من القنطرة حيث كان الهداوي معلقا هناك كخروف جاهز للذبح، وهو يصيح بصوت عال وكأنه يحذر شخصا ما أو يعاتبه، كان يتحدث لشخص ما ويحذره من الاقتراب، ويتحدث عن نفسه بأنه مكبل وأن لا أحد سيخلصه في هذا العالم، وحينما رآني، كان يقول لي،

-عبد المجيد تنح أنت.

الكلام ليس لك، الكلام موجه لأولئك الحمقى الذين أرادوا تكبيلي....

أيها العقلاء: كونوا شهودا على ما سيحدث.

قلت له:

-لا عليك صديقي، انزل لأتحدث معك في هذا الموضوع،

ولنا كلام كثير...

حاولت استمالته؛ واستعطافه لكي ينزل لكنه كان عنيدا، إلى درجة أنه صمم على السقوط، وحينما أدركت أنه فعلا سيفعلها، أنه قد يهوي بطريقة تصدم الناس، فيتأذى هو...

حاولت إيجاد طريقة جديدة لاستمالته، فأخذت أتحدث له عن إبريق الشاي الذي كان يصنعه، وأنني أحتاج لشرب الشاي، ومع أن الفكرة كانت تقليدية لكنني حاولت إقناعه بها، فبدا أن الهداوي تأثر بكلامي، وشرع في النزول، لم أصدق نفسي، وحينما التفتت وجدت الناس يصفقون ويهللون، فارتفعت معنوياتي؛ وحينما اقترب مني صافحني، فبادلته بالمثل، وأنا لم أصدق نفسي، ثم أخذته واتجهت به نحو منزله القديم...

وضعت يدي في يده، فاتضح لي أن نفسه هدأت قليلا، لم أرغب في إزعاجه بتأنيبه عما فعله، لكنني تذكرت أيام الجامعة وحياته القديمة، فرأيت نفسي أحاول فتح نقاش في موضوع قديم.

فقلت له ماذا فعلت بنا يا نيتشه؟

كنت أحاول استفزاز مشاعره وتذكيره بالفلسفة، لأنه درس الفلسفة لمدة عام، وكان

قارئا نهما للفلاسفة، وخصوصا نيتشه.

أجابني قائلا:

-نيتشه هو أشد المخلصين في طلب الحقيقة، دون مبالاة بعواقب بحثه عن الحقيقة.

أيها العقلاء:

فقلت له:

-نعم أظن أنك تحب نيتشه:

قال لي؛ أنت غبي يا عبد المجيد: ألم تسمع نيتشه يقول:

"أي إخواني حطموا هذه الألواح القديمة ولا تترددوا"

فهل أنا غبي لكي أحبه، نيتشه حتى ولو كان على حق فهو مثل الشيطان يأمرنا بفعل أشياء لا نقدر عليها.

تعجبت من قوله في نيتشه، لقد صدمتني إجاباته حقا، وأنا الذي أريد انتزاع شرف محادثته في شخص يحبه، فلم أجد أفضل من نيتشه... غير أن محاولتي اتضح أنها كانت غبية على حد قوله.

ثم باغتني بعبارة نيتشه قائلا:

-قل لي يا عبد المجيد، أيها العاقل من بين هؤلاء الأغبياء والسذج؛

لماذا نحن نحيا؟ وكل شيء باطل! وهل الحياة إلا عبارة عن دق سنابل، والاصطلاء قرب نار تحرق ولا تدفئ.

نزل سؤاله كالصاعقة على مخيلتي، كان سؤالا غريبا، وكبيرا في نفس الوقت، آه كم أنا مجنون لأنني أتواجد مع مجنون كثير الأسئلة؛ مستحيلة الإجابة،

-لماذا نحن نحيا؟ وكل شيء باطل؟.

آه ما أقسى هذا السؤال! الذي جاء في غير وقته.

****

وصلنا أخيرا، فدلف وهو يقهقه بكلام غير مفهوم، ثم تبعته، وأظن أن نيتشه المجنون قد حضره في هذه اللحظة، ألا لعنة الله على نيتشه وعلى جميع فلاسفة العدمية، الذي وضعني في مأزق مع هذا المجنون، الذي كان صديقي في يوم من الأيام.

هذا الكلام كاد ينسيني حقيقة حياة الهداوي ومشاكله مع عائلته، والأسباب التي قادته نحو الجنون، غير أنني أتذكر بعض الحقائق، والتي اكتشفتها فيما بعد ما عاناه أثناء دراسته.

****

اكتشفت أن الهداوي كان يعاني من ضائقة مالية، وأن عائلته تخلت عنه، وهو ما فسر عدم تسديده لديونه في الجامعة، اكتشفت أيضا أن عبد العالي الهداوي طرق أبواب كثيرة لمساعدته، فأغلقت الأبواب في وجهه لكنني تكفلت به أنا وبعض الأصدقاء، أما أنا فقد سددت له بعض الديون في الأشهر الأولى لكنني عجزت عن إقراضه المال، وهو ما أدى لانحراف صديقنا عبد العالي الهداوي، وتغيبه المتكرر عن مقاعد الجامعة، في ذلك الوقت كنت أحس بعبد العالي ومعاناته فهو يتألم في صمت، ويكتوي بنيران إهماله من

طرف أقربائه، حينما أنظر إلى حاله الآن وما وصل إليه، أحس أن هذا العالم كله تخلى عنه وتركه يواجه مصيره بمفرده، ويواجه قدره الذي لا مهرب منه، فكانت معاناته مضاعفة، لشاب كنت أتنبأ له بمستقبل زاهر، شاب يزن ذهبا، في رجاحة عقله، غير أنه فقد القدرة على التحليل، وأصيب بصدمة دماغية، أجبرته على الاستسلام، هكذا إذن يرى الهداوي نفسه...

الشخص المتميز في الوقت الغير مناسب، العبقرية الزائدة والطائشة تجعلنا نتساءل عن علاقتها بالجنون، هذا الخيط الرفيع بينهما هو الذي مس الهداوي وأفقده عقله.

****

كنت قد انتهيت فكريا ونفسيا، بعد الموقف الذي وضعني فيه الهداوي، والذي لم يترك لي فرصة للراحة، أحسست بهزيمة نفسية خانقة، جعلتني غير قادر على الكلام أو الحركة، وأنا أقعد القرفصاء أمام الهداوي، في داره الخربة، بينما لاحظت على الهداوي نشاطا زائدا جعلني أتعجب من قدرته على التحمل، بالرغم من معاناته مؤخرا، فقد بقي محافظا على هدوءه وبشاشته بشكل جعلني أندهش منه.

اكتشفت من خلال هذا الموقف أن ليس هناك أحمق منا نحن سكان القرية حينما شغلنا بالنا مع هذا المجنون، الذي كاد يصيبنا بالجنون... لذلك بدأت أشك في سلامة عقولنا نحن الأحياء، وبعد لحظات وجيزة مد لي يده بكوب الشاي الذي أعده كان ساخنا لدرجة أنني تخيلت النار وهي تلتهم الكوب والشاي معا، فكان كمن قدم لي جمرة من نار أجبرني على حملها، بين يداي، هكذا إذن تخيلت الموقف، آه أ لهذه الدرجة يهينك من يحبك؟، ذلك أنني أثق في صديقي الهداوي على الرغم من هذيانه وجنونه، كما أنني متيقن أنه

يكن لي الحب والتقدير، على الرغم من تغير الأحوال والظروف وتباعد المسافة الزمنية بيننا منذ دراستنا في الكلية، وأيام طفولتنا الأولى في القرية...

وبينما كنت غارقا في تخيلاتي وأنا أرتشف الشاي بصعوبة لأن مذاقه أشد مرارة، إذ فاجأني صديقي الهداوي بقوله:

" -أنتم يا من تعيشون وحدكم اليوم وتقفون، ستصبحون شعبا في يوم من الأيام، سينهض شعب مختار يخرج منه الإنسان الأعلى."

قلت له على سبيل المزاح، نعم ننتظره بشغف، لكننا لا نريد غيرك أنت يا صديقي الهداوي، فأنت هو الإنسان الكامل.

ويبدو أن عبد العالي أعجبته كلماتي في الثناء عليه، فاسترسلت، في الكلام دون توقف، وكأنني أمدحه.

حتى أوقفني قائلا:

-من حسن حظكم أن الإنسان الأعلى موجود بينكم، وإلا فأهل القرية السذج لن يجدوا بينهم امرأة قادرة على إنجابه.

تعجبت من إجابته، وسرعان ما حضرتني لفظة "الشعب" التي نطق

فقلت في نفسي، هل يعقل أن تكون قريتنا هي الشعب نفسه؟ وهل يمكن أن تسن قوانين وعادات بعيدة عما يرغب فيه الهداوي؟، والمعروف على الهداوي أنه كان شجاعا متمردا لكنه يحب الخير للجميع، وينشد الكمال في مواقفه على الرغم من أنه عنيد.

تعجبت حقا من الهداوي هذا الفيلسوف المجنون الذي تبنى أفكار نيتشه وحاول تطبيقها في هذه القرية الصغيرة، التي لا يؤمن أغلب أفرادها بالأفكار الجديدة الملحدة، خصوصا وأن الهداوي كان يقول كلاما، ينكر فيه وجود الإله، هذا الأمر هو الذي لم يستسغه فقيه قريتنا. وكان يقول عنه دائما بأنه مسكون، بجن كافر لا يراعي لله ولا لبيته حرمة.

نهضت مستأذنا الهداوي في الانصراف، على الرغم من أنه كان يريد مني البقاء معه، إلا أنني صممت على الخروج، كانت الحياة مع هذا الصديق متعبة ولولا الموقف الذي حصل له مع أهل القرية ، لما قبلت الدخول، أو الجلوس معه، لكنني استسلمت للأمر الواقع وللضرورة أحكام، ولابد من أن أتحدث مع أخيه عبد الرحمان في شأن إرساله إلى طبيب خصوصي، لكي يعيد له عقله، مع أنني شديد الإيمان بأن هذا الرجل ليس مجنونا بالكامل، هو فقط يعاني من خلل في المفاهيم، لكنه يقوم بأعماله بنفسه، فهو يحضر الشاي، ويجلس في الدار القديمة التي أرغمه أخوه على أن يقيم فيها، ولأنه يحب الوحدة والعزلة فقد اختار لنفسه أن يعيش بمفرده في المنزل القديم فوق الهضبة، والذي يحن فيه لطفولته، هذا الخلل الذي أصابه أثر في الدماغ وتسبب في تلف ذاكرته، غير أن سبب جنونه يظل عصي عن الاستيعاب و الفهم، فقد قيل لي بأن السبب وراء جنونه هو تعرضه لإصابة بانهيار عصبي بسبب مشاكل عائلية، حدث ذلك بعد دراسته الجامعية، هذا المشكل يتعلق بخصومة قديمة بينه وبين أخيه عبد الرحمان، إلى جانب تأثره بالفلسفة من جهة، مما سبب له الهذيان، في تلك الفترة بدأت العلاقة تتوتر بين الأخ وأخيه الهداوي، أما فرضية جنونه الثانية كما رواها الناس عنه، فترجح فرضية أنه مسحور من طرف امرأة أحبها في الجامعة، وهي التي سعت للتفرقة بينه وبين قريته، لكن هذه الفرضية مستبعدة، غير أن الشيء المؤكد هو أن

الهداوي أصيب بصدمة وانهيار عصبي نتيجة مشكلة ما ليس لها حل وتتعلق بشخصية الهداوي نفسه أو عبد العالي. ذلك أن حدث رجوعه من الدراسة الجامعية، صادف حدثا آخر، وهو وفاة والده سي محمد، وهو لا يدري، وإنما تلقى مكالمة هاتفية من إخوته يخبرونه بما حدث، وأنه عليه أن يحضر في أقصى وقت ممكن للمشاركة في تشييع الجنازة، غير أنه لم يحضر إلا في اليوم الثاني، ومن المحتمل أن يكون الحدث هو سبب ضياعه وجنونه. وقد بدأت عائلته تحس بذلك الخلل في عقله حينما كان يخرج ويمر بالمزابل يجلس فيها طويلا، ويتحدث مع نفسه كثيرا بكلام غير مفهوم، وقد كان يجمع الأوراق من القمامة ويضعها في جيوبه، هذا الأمر جعل إخوته يعاتبونه، وعلى رأسهم الأخ الكبير سي عبد الرحمان، معيل العائلة بعد وفاة الأب، والذي كان يضربه ويزجره لكي يكف عن تلك التصرفات الصبيانية، خوفا من العار ومن الفضيحة، كان يحبسه في المنزل، حتى أصيب بمرض الصرع، فأضطر عبد الرحمان الى تكبيله داخل غرفة خاصة به، ذلك أن الهداوي بدأ يضرب أبناء سي عبد الرحمان وبناته. وقد بقي على ذلك الحال حتى اختل عقله، فأحضروا له الفقهاء وأطباء القرية والمشعوذون، لكن حالته ساءت أكثر مما كانت عليه، وحينما يئس منه سي عبد الرحمان ومن شفائه، أطلقه فهام في القرية وقد نبت شعره بشكل كثيف و اتسخت ثيابه، منذ ذلك الوقت أطلق عليه أطفال القرية هذا الاسم العجيب والغريب " الهداوي"، لأن حالة الصرع كانت تراوده بين الفينة والأخرى ، لكن حالته بدأت في الاستقرار فقد بدأ يتأقلم مع مرضه ويستأنس به، ولكي يخلصه سي عبد الرحمان من النوم في العراء ، قدم به صوب الدار القديمة لكي يعيش فيها، ووضع له ما يطلب من مئونة ولباس و أفرشة، ثم تركه هناك وأصبح يزوره كل مرة ليطمئن على صحته.

حينما كنت في مدينة " مراكش"، أنهي بعض الأعمال وقد مكثت هناك عدة سنوات، رجعت عائدا صوب القرية، بعدما سمعت خبر جنون صديقي عبد العالي، وقد نزل علي الخبر كالصاعقة، كان وقعه مؤلما، لأنني كنت أعز عبد العالي، وأكن له الحب والتقدير، فما وقع له أثر في قلبي، وهز كياني، وبعد ثلاثة أيام من عودتي، حاولت البحث عنه لكي أعاين حالته عن قرب، فوجدته في أحد المزابل يجمع القمامة، أصبت بالصدمة، وتسمرت مكاني، حاولت معاينة وجهه، لكنني لم أستطع مشاهدته، لأن الشعر كان كثيفا اختفت معه ملامحه المعروفة، فقد كان أبيض الوجه يميل إلى الصفرة، له لحية كثيفة، سوداء ، ومع أن لون وجهه أصفر إلا أنه مال إلى السمرة بسبب ضوء الشمس الذي أثر في قسمات وجهه ومنحها ذلك الشحوب الطافي عليها.

أما هو فلم يعرفني، وأظن أنه انخدع هو الآخر بمظهري الجديد، كان يظنني أحد المسافرين، فلم ينتبه لقسمات وجهي، لكنني حاولت لفت انتباهه، ناديته:

أخي عبد العالي، يا أخي عبد العالي،

-كيف حالك؟

أما هو فقد هز رأسه، وبدأ يلاحظ وجودي، فتقدم نحوي بسرعة،

ثم قال والدهشة تملأ محياه:

-أخي مرحبا بك أهلا، ذكرني باسمك؟

آه، لقد نسيتني يا عبد العالي، أنا صديقك وخليلك عبد المجيد الذي يكون معك دائما؟

قال:

أووه، نعم أخي عبد المجيد مرحبا بك...

وقد بدا لي أن الصدمة التي تلقاها أصابته بالنسيان، نعم إنه النسيان، هل يعقل أن ينساني، المهم هو أنني حاولت الاطمئنان عليه، ثم انصرفت، وتركته، لقد كان في حالة يرثى لها، فعلى الرغم من أنه كان يرحب بي إلا أنه كان يجمع القمامة في نفس الوقت.

لقد أثر المشهد في نفسي فعاهدت نفسي على أن أتكفل بعلاجه، ومداواته عند طبيب خصوصي في المدينة.

فرضية ثالثة، أرقتني وأنا أفكر في سبب جنون صديقي عبد العالي، وهي علاقة موت أبيه وانقسام عائلته بعد وفاته، إثر خصومة حول الإرث، بالمبادئ التي تلقاها في الجامعة والتي تتضمن معاني العدالة والقوة والمساواة، هذا التعارض هو الذي سبب صدمة قوية لصديقي، جعلته يخوض حربا فكرية مع نفسه، قادته نحو الجنون، من هنا يمكن لي فهم صديقي الهداوي، العدمي والمخلص لأفكاره ومبادئه التي استمدها من الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه، بهذا الشكل يمكن لي فهم شخصية الهداوي القاسية فهي تشبه نيتشه في غرورها وتكبرها وعنادها، لذلك اختار الانفصال عن أهله، والانزواء وحيدا بعيدا عنهم، الكبر والمكابرة والعناد هي سمة تميز بها الهداوي وهو يجاهد في سبيل الحقيقة، وهذا ما يفسر كرهه وعداءه الشديد للمتدينين المنبطحين، كان يصفهم بالعبيد الخونة والجبناء، في بعض الأحيان كان ينعتني بالعبد لأنه كان يراني جبانا غير قادر على قول الحق أو المجاهرة به، والحقيقة أن ما قاله صحيح، ذلك أنني محافظ الطبع مخلص للقديم وهي خصلة كان يكرهها صديقي الهداوي، ويلومني عليها باستمرار، غير أنه

كان يجد لي العذر الدائم كوني مسالم وصبور أدافع عنه في أكثر من مناسبة. ولأنه كان يعتبرني ولي من أولياء الله ينشد السكينة والطمأنينة والسلام، كان يشبهني بمانديلا رمز السلام ويقول لي:

-أنت يا عبد المجيد صفحة بيضاء لا يدنسها خبث ولا نجس، لا تعلم شيئا عن خبيئة هؤلاء الأشرار، يأجوج ومأجوج.

كان ينعت أهل القرية بهذا الاسم، وكنت أضحك كثيرا حينما أسمع ذلك اللقب الذي كان يلمزهم به.

لقد كان الهداوي تحفة نادرة يعجبك في كلامه فهو وإن كان قاسيا إلى الحد الذي يواجه فيه الناس بعيوبهم؛ إلا أنه كان يقول الحقيقة، فيضحكك أكثر مما يبكيك في كثير من المواقف، مواجهته هذه للناس هي سبب مشاكله.

كان عليه أن يتحمل الألم في هذه الحياة وليس ذلك باليسير على رجل مثل الهداوي؛ الرجل المكابر والعنيد والقوي الذي لا يهادن ولا يساوم، لقد شن حربا شعواء ضد القبيلة وعاداتها، ناقما على كل شيء، لقد تعلم شيئا واحدا فقط، هو المواجهة، مواجهة كل شيء وكل شخص كان مرعبا لكل شخص يراه، لأنه كان يقول الحقيقة التي تعري الناس وتكشف نواياهم، كان عليه تحمل كل تلك الآلام في سبيل قول الحقيقة، لقد كانت عودته من الدراسة، نقطة تحول في فكره جعلته يخرج من شخصيته القديمة التي تتصف بالليونة وحسن الخلق وديبلوماسية التعامل، وحسن السلوك، فأصبح عدوانيا وعنصريا لأنه في بعض الأحيان كانت العظمة تأتيه فتصيبه بالغرور والحقارة، وتجعله يتهجم على الناس الأكبر منه سنا، وقد بدأت هذه الحكاية منذ حادثة الخصومة حول الإرث مع أخيه عبد الرحمان، والتي أعلن فيها عصيانه وتمرده المباشر له، ولأوامره مما جعل عبد الرحمان ينفض يديه عنه، ويعلن

أمام الملأ انتهاء وصاية أبيه عليه، كما أن حادثة شجاره مع أخيه كانت النقطة التي أفاضت الكأس، والمنطلق الذي بسببه هاجم عبد العالي الهداوي الكل، تلك هي المرحلة التي بدأ فيها الهداوي يصرخ ويصرخ حتى ملأ قلبه الحقد فأصبح عدوانيا ضد الجميع، وأخذ يشبه الناس ب" الحيوانات"، والقبيلة ب" قوم يأجوج ومأجوج"، وأخوه كان ينعته ب" إبليس،"، هكذا يمكن لي تفسير المرحلة التي مر منها صديقي الهداوي، جعلت منه الرجل القاسي والقوي الذي لا يخشى العواقب، فأصبح يرى في سب الناس والقدح فيهما جرأة وشجاعة، وجهاد في سبيل إعلاء القيم، هذه القيم التي جعلت الناس يذكرونه بالجاحد وهم يرددون عبارتهم الشهيرة:

" -الله ارحم أسي محمد"

رأفة بأنفسهم وهم يشهدون جحوده ومغالاته في سبهم وذمهم، وكأنهم يقولون له بطريقة غير مباشرة:

-كان أبوك رجلا صالحا.

****

آه، إن العبارات لا تسعفني لكي أقص عليكم خبره، لأن حالته الآن الصحية حرجة، وهو يحتاج لمساعدة عاجلة، ولمن يأخذ بيده ليشرح له، أن الحب هو التسامح، وأنه يجب علينا التغافل عن أفعال الناس، ونترك الناس لخالقهم، لكن هذا الكلام كان يلقى معارضة شرسة منه، فكنت أتجنب النقاش معه، محاولا لفت انتباهه للاعتناء بصحته، رغم أنه لا يبالي، مع العلم أنه كان يرتاح لي، في الوقت الذي كان لا يأمن لأحد من يأجوج ومأجوج، آه لقد تعبت من تحمل تصرفات الهداوي الغير مسئولة، تعبت من أكون حائط الصد بين صديقي الهداوي وأهل القرية، لأنني في بعض الأحيان أتدخل لفض المشاجرات بينه وبينهم، وأحيانا أحاول التخفيف عن الهداوي، بالدفاع عنه أحيانا وشرح مشكلته للناس لتجنب التصادم معه، لكن البعض يريد استفزازه دوما باسم "الهداوي"، وهو ما يرفضه، كليا، وكان يخوض في سبيل ذلك عدة معارك وخصومات، حتى أصبح الناس جبناء أمامه، لا يملكون القدرة على التصريح بهذا اللقب في حضرته، وقد حدثت واقعة، بخصوص هذه القضية، كانت مؤلمة للجميع، جعلتهم يكفون عن استفزازه باسمه، فقد كان مارا ذات يوم بجانب أحد المطاعم، فتناهى إلى أذنه، همهمة أحد الرجال وهو ينطق باسمه:

-الهداوي جا، الهداوي جا...

فما كان من صاحبنا إلا أن قبض بكلتا يديه على الرجل، مستغلا انحناءته وهو يداعب كأس قهوته، واستمر الهداوي في الضغط عليه، فكانت يداه كمطرقة أو فم تمساح أطبق على فريسته، هكذا وصف الناس المشهد، وهم يحاولون تخليص صاحبهم منه في فزع شديد، أمام تواصل صراخ الضحية، الذي تحول إلى حمل وديع يستنجد ويطلب من الناس تخليصه من هذا الأحمق الذي لا يعرف الرحمة، ويبدو أن الجميع تفاجأ بالواقعة، حتى ما

عاد البعض قادرا من الاقتراب أو نهي الهداوي عن فعلته، ولسوء الحظ لم أكن موجودا في ذلك الوقت لأسعى في سبيل تخليص الرجل واستمالة الهداوي حتى يلين، وبعد محاولات يائسة، أطلق الهداوي يديه فسقط الرجل مغشيا عليه، أمام دهشة الحضور و وجومهم، لقد كان مشهدا سرياليا، يبين قوة الهداوي و عناده. لقد حول هذا الموقف نظرة الناس للهداوي، كانوا يخافونه في سرهم قبل جهرهم، ففي الوقت الذي يتبادلون فيه نظرات الإعجاب بقوته، كانوا يظهرون الحقد عليه أيضا، لأنه كان لا يرعى لهم ذمة ولا كبر، بل كانوا يكتفون بوصفه بالمجنون.

****

# الفصل الثالث:

# المصير

بدأت القصة في هذا المكان بالضبط، بجانب الوادي حيث ينتصب بيت شامخ فوق هضبة هناك، منعزلا وحيدا بعكس بقية البيوت الأخرى المبنية بالطين والآجر المترامية في الطرف الآخر من الوادي، في مقابلة البيت الوحيد التائه فوق هضبة، يستنجد برب السماوات في غير تنسيق، وكأن القاطن فيه راهب ناسك اعتزل الحياة الدنيا وملذاتها، هناك بدأت قصة عبد العالي المجنون، والمعروف باسم الهداوي، خلال بداية ثمانينيات القرن الماضي حيث قضى فيها طفولة كانت أشبه بالحلم، تحمل ذكريات جميلة.

****

هنا وقعت الأحداث في هذا الفضاء المترامي الفسيح، حيث الدور المنتصبة، بعضها ببعض فوق الجبل، تطل على الوادي اليابس الهادئ، الذي لا يأتي بجديد، سوى ذكرى غرق عبد الهادي، حينما يسترجع  عبد العالي ذكرياته، يجد نفسه وهو ينظر بطرف عينه إلى حافة الوادي، يتأمل شكله البلوري وقد سطعت شمس الأصيل الذهبية فوقه، ونبتت أشجار الطلح بشكل كثيف حوله، فيجد نفسه وقد ملأ عبق المكان ذكريات غالية على نفسه المزهرة، والناس يقطعون الوادي بشكل أفقي مع أبنائهم، يتخيل نفسه وهو يرصد هذا المشهد أنها ذكرى طفولته، مع أخيه عبد الهادي، حينما كانت أقدامهم الطرية تسوخ في الرمال مستمتعة بسلاستها  الجذابة.

أما الآن فجفاف الوادي ينادي بصوت عال، متعب لا يكاد يبين وقد اختلطت أصوات الناس الآتية من بعيد وكأنها عبارات استنجاد.

****

حينما أتأمل اسمه: عبد العالي، أتذكر عدة أشياء مأساوية، ارتبطت أشد الارتباط باسمه، فأعرف أنه " منحوس"، لا يجلب لأهله سوى النكد والهم، فالحكايات الأربع: قصة غرق أخيه عبد الهادي وهروبه من القرية، وعودته المفاجئة، وحكاية جنونه، كلها تؤكد ذلك.

هل هو نادم على العودة؟ على إحياء ماض مؤلم كان يتوسم فيه خيرا، أم أن عودته ستصلح كل شيء أفسدته السنون الماضية؟، ما الذي ناداه وهو في غيبته؟، هل هي رابطة الدم والأقارب؟ أم قصة طفولته الجميلة التي قضاها في القرية مع إخوته؟

حينما يتذكر أمه عائشة، المرأة الثانية لأبيه، يشعر بمشاعر الحب، إلى درجة البكاء، وعندما استقل الحافلة أول مرة، في لحظات هروبه الأولى من القرية، كان يردد في دواخله، يا أمي عائشة الحبيبة، وحين يغفو قليلا يتخيلها وهي تناديه:

-ولدي عبد العالي، السد العالي، والقلب الكبير....

كلمات كانت تطرق سمعه فتجعله يستيقظ مذعورا، وقلبه يفيض بالحنان.

فيقول: رحمك الله أمي الغالية.

****

لقد كان يعرف بأن نهايته محسومة، وأن كل شيء يجري معه، يوحي بأنه سيفقد كل شيء، عائلته أقرب الناس إليه وقريته، وأهل قريته الذين لم يشعر بحبهم قط.

شعوره بالألم كان باديا على محياه، لقد تحمل الكثير في غربته، حمل معه مصيره بين يديه وحكايته. وهو الآن في العقد الرابع من عمره.

****

حينما يتفرس في محيا أخيه عبد الرحمان، يتذكر عمه " العربي"، لأنه يشبهه في كل شيء، في طريقة كلامه ومشيته؛ وجلوسه، في كل شيء تقريبا، الشخصية القوية التي يملكها عبد الرحمان هي التي غيرت الكثير من القرارات في حق مصير العائلة الصغيرة، كما غيرت القرارات التي اتخذها العم العربي في نمط عيش سي محمد وأبنائه، فإن كان سي محمد، متقلب المزاج ،غريب الأطوار إلا أنه يجاري أخاه العربي في كل صغيرة وكبيرة، ولأن العربي يستطيع التأثير على جميع أفراد أهل القرية، فإنه أصل كل القرارات التي تنفذ في القرية بدء من بناء المسجد ونهاية بإنشاء قنطرة الوادي.

كما أن العربي هو السبب في عزل عائلة أسي محمد، عن باقي المنازل، ذلك أن شجار قديم بينه وبين أخيه سي محمد، حول أرض توجد على واجهة القرية، تسبب في جعل سي محمد يركن للخلف ويترك الأرض مفضلا الدار الموجودة في أعلى هضبة الوادي، هناك قرر أن ينشئ عائلته، ولأنه كان يؤمن بالسكينة والهدوء، فضل أعلى الهضبة على أسفلها.

لم يكن سي محمد، بالشخص الذي يمكن التأثير عليه وعلى أفكاره، بل شخصية قوية وصلبة ساهمت في تشكيل وعي العائلة؛ فالمكان الذي اختير فيه المنزل، يقع أعلى الهضبة، بمعزل عن أهل القرية، بينهما يمر الوادي الذي يقف منبسطا بين دار سي محمد وباقي الدور التي اتخذها أهل القرية مسكنا لهم، لذلك فقد وجد أبناءه عزلة وقفت حاجزا بينهم وبين منازل القرية، بسبب هذه السياسة المقيتة التي سلكها، بإعلانه الانعزال عن الناس، وعدم السكن

بجوارهم، فنشأ الأولاد على طريقته في عدم الاختلاط بالناس، مما ولد لديهم عقدا كثيرة، لكن سرعان ما ساوره الندم في آخر أيام حياته، فعاد يطلب من أخيه العربي  قطعة الأرض التي استبدلت بالدار القديمة فوق الهضبة، وكأن أسي محمد أراد أن يكفر عن ذنبه باسترجاع أرض يؤمن فيها لأبنائه السكن مستقبلا، كان في آخر أيامه ينزل من أعلى الهضبة ويقف بجانب الوادي، وكان يبكي بكاء مرا حارقا، على ما فعله بأبنائه، كان يحب أبناءه الصغار كثيرا وخصوصا الفاطمي وسمية، إلى جانب عبد العالي ، على الرغم من غيابه في تلك الأيام الأخيرة، وعدم عودته، لكي يقبل رأس أبيه ويعبر له عن أسفه، ويحتضنه،  والكل يتذكر المكالمة الأخيرة لعبد العالي مع أبيه، وحينما طلب منه أبوه المسامحة..

أجهش عبد العالي بالبكاء، وهو يستمع لصوت أبيه، فاعتذر له عبد العالي، وقال له سامحتك يا أبي يا أعز الناس، فقبل الهاتف عوض تقبيل رأس والده، في ذلك الوقت كان الأب يعيش آخر أيامه على فراش الموت، لكن عبد العالي عاد بعد ذلك ليتم إخباره بوفاة والده وهو لم يتمكن من الاعتذار له، هكذا انتهت قصة أسي محمد المأساوية، التي عبر فيها لأبنائه عن أسفه، لأنه لم يوفر لهم دار تصلح للعيش، وحينما عاد عبد العالي، أصابته وسوسة دراسته الجامعية، فأصبح يكثر الحديث مع أخيه عبد الرحمان عن الإرث، لكن عبد الرحمان أعلن عدم وجود شيء، فيما اقترح عليه، أن يهب نصف القطعة الأرضية التي أخذ من القبيلة للفاطمي وأخته سمية، وأمام رفض عبد الرحمان المقترح، تأجج الوضع، وازداد سوءا.

أصيب عبد العالي بوسوسة جعلته لا يقبل العيش مع عبد الرحمان وأبنائه تحت سقف واحد، فعاد لمنزله القديم محاولا بذلك بعث ماضيه من جديد،

وقد قيل بأن عبد العالي أصيب بصدمة، حينما وجد ماضيه قد نسف بموت أبيه.

كانت علاقة عبد العالي بأبيه طيبة، غير أن دراسته الجامعية لم تمكنه من المجيء، للقائه الأخير وهو على فراش الموت، على الرغم من أنه ودعه في وقت مضى، وهو الوقت الذي أحس فيه بأنه اللقاء الأخير الذي سيجمعه بأبيه.

أما معركة الأرض بين أسي محمد وأخيه العربي فقد انتهت بموت أسي محمد، ولم يجرؤ أحد من أبنائه على مساومة العربي في الأرض، التي استولى عليها، لكن عبد العالي كشف الموضوع بعد صدمته العصبية، فكان يحدث للناس عن مكر وخبث عمه العربي، إلى أن أصبح يتشاجر معه ومع أبناء عمه، كانت تلك هي المرحلة الأولى التي مهدت لجنونه.

إضافة إلى ذلك كان عبد الرحمان غافلا عن صحة أخيه عبد العالي، ولم يكن يعرف أنه بدأ يفقد عقله تدريجيا، فقد كان الناس يشاهدونه في المزابل، يتحدث مع نفسه ويهذي، وفي المرة التي أعقبت خروجه من منزل عبد الرحمان بعد عودته من السفر، حاول إرضاءه بإعادته لمنزله، لكنه رفض، وتمسك بالجلوس في الدار القديمة، وبعد أيام يئس فتركه، وانصرف، لكنه ساعده ببعض الأفرشة والأواني لكي يقدر على تدبر أمره، هكذا إذن بدأت الحكاية.

****

كانت وفاة والد الهداوي نقطة تحول في حياته، هي التي فتحت عليه أبواب الجحيم، أو الجنة التي يفتخر بها الآن، جنة الجنون التي جعلته على هذه الحال راض بعيشته، مستذكرا كل ما مضى من آلام وأحزان، تجرع مرارتها في الماضي، بداية من وفاة أمه وزوجة أبيه وأبوه وأخوه عبد الهادي، فوفاة عبد الهادي تركت في نفسه أحزانا لا تندمل، بل أصابته بصدمة قوية، جعلته يفكر في طريقة ينسى بها ذلك الحادث والمؤلم، وقد ساعدته الدراسة على تجاوز ذلك، إنه لن ينس ذلك اليوم الحار الذي ذهب فيه مع أخيه عبد الهادي على الحمار، لإحدى الحقول القريبة من الوادي، فاقترح عليه عبد الهادي فكرة السباحة ثم نزل للوادي، بينما قام عبد العالي بجولة صغيرة، وحينما عاد تفاجأ بفقدانه، مما حرك فيه عواطف مؤلمة ومحزنة على أخيه، إنه موقف مأساوي مؤلم عرف فيه مدى حبه لأخيه.

لقد جاءت وفاة الأب على غير العادة لتذكره بوفاة أخيه وأمه، وليبقى وحيدا بلا أخ أو أب يؤنس وحدته، كان يعتقد أنه حينما يعود سيجد عائلته التي يريد، ويصلح أخطاءه معهم، لكنه تفاجأ بواقع لم يشهده حتى في أحلامه، لقد وجد الهداوي نفسه يصارع ضد التيار، في جحيم أبدي لانهاية له، فبدأ هذيانه يغلي، ويزداد إلى أن وصل هذه المرحلة، العصيبة التي رأيته عليها، الحياة المظلمة التي أحزنتني وأنا صديقه المخلص،

كان يقول لي كل يوم:

-وستصرخ ذات اليوم الكل باطل؛

لكنني لم أفهم.

ماذا يعني بكلامه بالضبط؟

لكنني استدركت، فهو وإن تحدث بلسان لسان نيتشه، إلا أنه يقول الحقيقة، التي لا غبار عليها، فصديقي صادق في كلامه وإن كان فاقدا لعقله، لذلك بدأت أقلب هذه العبارة في عقلي، يا ترى ماذا يقصد بالشيء الباطل؟ وما هو هذا الباطل؟

اكتشفت بالصدفة أن حياة الهداوي المأساوية باطلة، وتنطبق عليها عبارة:

-ما بني على باطل فهو باطل.

لذلك أصبت بحيرة أخرى، وأنا أتفرس في وجهه وأقلب حقائق جنونه، فأجد نفسي أدور في حلقة مفرغة، إذ لا وجود لخيط أتتبعه لمعرفة سبب جنونه، لا شيء سوى الفراغ، مما جعلني أشك في عقلي، أو وجود هذا الرجل الذي اعتبرته يوما صديقي، لا أرى شخصا أمامي؛ بل جثة تقضي حاجتها البيولوجية وتنام، هل يمكن أن يكون الهداوي شخصية خيالية؟ اخترعها خيالي الواسع وقادني الفضول للتعرف عليها؟ أم أن الهداوي موجود في الحقيقة؟

وأنه موجود في كل ضمير يحيا فينا، هكذا إذن استمر في تعذيب نفسي عن طريق التفكير في هذه الاحتمالات والمتاهات التي تجعلني أشك في عقلي.

ما وقع للهداوي لا يمكن أن يتحمله قلب رجل، فالأحداث حطمت قلوب الرجال ونفسياتهم، لتصبح ذوات فاقدة لصلاحيتها، وأحلامهما وطموحاتها... هذا ما وقع بالضبط للهداوي، أما الإخوة محمد وسي عبد الرحمان، فقد يأسوا من حالته وتركوه هائما على وجهه.

****

ماذا تريدون مني أن أقول لكم؟ هل أصدقكم القول أم أكذبكم؟ كل الحقائق التي قيلت حول الهداوي لم يغيرها الزمن، بل إنها تحيا فيه وهي تعيد نفسها كل يوم، في هذه الذات المكلومة والمنهزمة، ليبقى الهداوي جسد بلا روح وواحد من تلك الحقائق التي قيلت عنه، جسد ذابل، كأنه جثة متعفنة ومتحللة، وكيان مهدود كأنه عقد انفرط من شدة جذبه، كل الحقائق التي قيلت عنه مؤلمة وعصية عن التصديق، الهداوي هو طيبة من الله ورحمة منه لأهل الارض، هو هبة الله في الزمان والمكان، هو ولي صالح لا يقول إلا الحقيقة وهو أقرب إلى الصوفيين في هذيانه، هو الفيلسوف المجنون الذي يزن كلماته بمقادير من ذهب، يخضعها لقوة المنطق، مما يجعلها تتخذ شكل الحقيقة المرفوضة، التي لا يريد أحد سماعها، لكنها تنطلق كالسهام فتخترق الأسماع والقلوب معا، بقوة وقعها لتخلف معها الإنكار والسخط من أهل القرية.

****

تكمن أزمة الهداوي في أنه ابن الزوجة الثانية للمرحوم سي محمد، لذلك فقد تعرض للتهميش والحرمان، ولأنه عانى من فقدان والديه، فقد عانى أيضا من كره عبد الرحمان له وتسلطه عليه، فقد كان عبد الرحمان يرفض فكرة زواج أبيه من الزوجة الثانية عائشة التي أنجبت الهداوي والفاطمي وسمية، لذلك حارب عبد الرحمان أبناء أبيه الصغار بكل ما أوتي من قوة مستغلا ضعف الأب، ليمعن في إذلال الأبناء الصغار، وبينما كان عبد العالي الهداوي، يتابع دراسته الجامعية، كان اسي عبد الرحمان يهمل أخاه الصغير الفاطمي، بل يستغله في خدمة الحقول والاعتناء بها، إلى أن ضاق الفاطمي ذرعا، وبعد وفاة الأب، استنجد بأخواله فتكفلوا به هو وأخته سمية، أما الهداوي فقد كان يفكر في ذلك الوقت في العودة إلى المدينة، لكنه تراجع عن قراره، في تلك

الفترة التي أعقبت وفاة والدهم، بدأ الصراع بين اسي عبد الرحمان والهداوي حول أراضي الإرث، وقد اقترح اسي عبد الرحمان أن يترك لهم الدار القديمة للسكنى، لكن الهداوي رفض، بل اقترح على اسي عبد الرحمان أن يقتسم منزله الجديد معهم، وهو السبب الذي وتر العلاقة بينهما، إلا أن الهداوي بدأ يمرض ويتحدث بصوت عال وقهقهة، وكان يفضح اسي عبد الرحمان مع أهل القرية، وهو الشي الذي دفع به الى طرده من المنزل، لأنه كان يقيم معه في بادئ الأمر، وبدأ الهداوي عبد العالي، يضرب أبناء اسي عبد الرحمان مما جعله يطرده من منزله، وفي الوقت الذي كان اسي عبد الرحمان يعتقد أن عبد العالي قد وجد له محل سكنى عند أحد أصدقائه، كان عبد العالي، يفقد عقله تدريجيا، وقد كان الناس يشاهدونه وهو يبيت في المزابل، ويذهب في بعض الأحيان الى الدار القديمة للمبيت، حتى ساءت أحواله، منذ ذلك الوقت بدأ عبد العالي يفقد عقله تدريجيا.

****

لا أستطيع إكمال حكاية الهداوي، فقد أحسست أنني منهار تماما، كيف يعقل أن يترك الهداوي دون رعاية؟ ولماذا لم يسأل عنه أحد؟ ماذا أصاب عبد الرحمان المغفل وهل هي قسوة القلب التي جعلته يهمل أخاه عبد العالي؟

آه، لقد أحسست بألم وحزن و أنا أسترجع هذه القصة المؤلمة كما سمعتها من أهل القرية، الذين شاهدوا كل شيء بأم أعينهم، يحكي لي صديقي المحجوب، بأنه شاهد الهداوي ذات يوم مغمى عليه، فذهب إليه وتحسس جسمه، فوجده ساخنا، فحركه محاولا إنقاذه، وأحضر له قنينة ماء رشه بها حتى أفاق، ثم حمله إلى الدار القديمة، وهناك بدأ الهداوي، يخوض معركته مع أمراض الأعصاب والصرع ، إلى أن فقد عقله بالكامل، وعندما علم أسي

عبد الرحمان بالأمر، قدم ليتفقد الخبر، فأخذ يعاتب الهداوي، لكنه اكتشف أن الهداوي فاقد لوعيه، عند ذلك استيقن عبد الرحمان بأن أخاه من أبيه فقد عقله تماما، فأحضر له بعض الأفرشة وبعض الأواني، وتركه في الدار القديمة وانصرف.

هذه هي القصة الحقيقية لمرض صديقي عبد العالي المعروف بالهداوي وفقدانه لعقله وجنونه.

****

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل."

حديث نبوي شريف

****

بين الجنون والعبقرية خيط أرفع من نسيج العنكبوت.

جبران خليل جبران.

****

ما يدي إلا يد مجنون فويل لألواح الشرائع ومنيعات الحصون، وويل لكل متسع لزخارف الجنون وغرائب سطوره.

نيتشه

## حلـــــــــــــــــــم:

أيها الصديق:

هل أنت...

حلم؟

أم ذكرى عابرة؟

هل أنت...

عشق؟

ظل الطريق

هل أنت...

باطل؟

يحيا فينا،

****

أيها الصديق

هل ولدت من عدم؟

وهل شربت الأرض

جفاف دموعك؟

أنت وحدك

الملاذ

والطريق.

# الفصل الرابع:

# كرامات الهداوي

هذه القرية القابعة وراء الجبال هناك، في سكون عميق، تائهة منسية، مخفية، هاربة، والأرض فيها صلبة ثابتة كأنها قدت من صخر، أو خرمت من جبل، كأن من بناها أرسلها خلف الجبال في لحظة غضب وسخط، فاستقرت هناك من شدة الرمي، وسقطت من أعلى خلف الجبال هناك حيث الخلاء، اللهم إلا من ذلك الوادي الذي قطع الطريق واتخذ وجهة بلا نهاية، كأنه سائح ظل الطريق، أو حيوان يمشي أينما قذفت به رجلاه، والناس فيها منسيون كأنهم أناس خرجوا من سلسلة التاريخ، حيث لازمن ولا وقت لديهم.

ذلك أن ما يقع من أحداث في هذه القرية الصغيرة، لا يخفى على أحد لأن الناس متجاورون يعرفون بعضهم البعض، فكيف تخفى عليهم أفعال الهداوي، ومن عجائب أفعاله أنه يذهب بمفرده نحو "العين"، يبحث عنها حتى يجدها هناك وراء الجبال، فينزع ثيابه ويسبح، ثم يغرف منها فيملأ إناءه الذي يحضره معه، فيعود إلى القرية، ويقول للناس بأن ماءه بركة تشفي المريض، والحق الحق أن العديد من الأساطير التي تروى بخصوص هذه العين تصب في طرح الهداوي، وكلها تجمع على أن هذه المياه التي تخرج من الجبال، بركة وشفاء وطهور للناس، هذه العين هي الجوهرة والفردوس المفقود التي يبحث عن الجميع، حتى الأجانب انبهروا بجمالها الأخاذ، وقد روي أيضا أن أحد السواح فقد عقله هنا، لأنه لم يستطع مغادرة المكان، فبنى له الناس منزلا فوق الجبل، حتى يكون قريب من العين، يراها صباح مساء، من هنا بدأت فكرة بناء الفندق الوحيد بقريتنا، وقد ظل السائح هناك لسنوات عديدة وهو يتمعن في جمالها، إلى أن توفي في يوم من الأيام بعد انزلاقه وسقوطه من أعلى الجبل، بعد محاولته الصعود فوق القمة، لكنه فقد توازنه وسقط، فمات وتم دفنه هنا في مقبرة القرية.

أما الهداوي فقد كان دائم التردد على العين التي تروي القرية، كان يستمتع بالذهاب إلى هناك على الرغم من وجودها على بعد كيلومتر ونصف من القرية، إلا أنه وجد ضالته هناك، كان يهرب من مضايقات البشر، ليتذكر طفولته التي قضاها هناك، طفولة أشبه بالحلم، حيث كان يرافق أصدقاءه فيتوجهون صوب العين يسبحون ويضحكون ويفرحون ويلعبون، آه لتلك الأيام الجميلة والذكريات السعيدة التي لن تتكرر، كان الهداوي يحن الى هذا كله ويرى نفسه طفلا صغيرا يحتاج للعب، وكأنه ينتظر أصدقاءه هناك أو يدعوهم لأن يعودوا كما كانوا لكنه يئس من قدومهم، فلم يجد غير الحجر يخاطبه هناك فيقص عليه أخباره ويحكي همومه حتى يفرغ ما في قلبه.

لقد كانت العين هي الملاذ الوحيدة للهداوي، فأصبح حارسا لها كما يقول من المغتصبين والمحتالين، كان يراها جنته الدائمة، وكان يقول:

-إذا انقطعت العين انقطع الخير في الناس.

وأن مياهها تخترق الصخر بشجاعة للقضاء على كل المساوئ، كان يرى العين الأمل النابض في القرية بعد الناس، ويتعوذ من البشر الأشرار وخصوصا يأجوج ومأجوج أهل القرية.

أما الأساطير الكثيرة التي تروى حول العين فهي كثيرة متعددة، ويعتبر البعض هذه الأساطير خرافات تعشش فقط في رؤوس الذين يحبونها ويذوبون في جمالها، ومن بين هذه الأساطير، الولي الصالح سيدي " يعقوب"، الذي كان يجلس بجانب العين، يصلي فيها ويتعبد إلى أن نبتت الحشائش والأعشاب من حوله، ثم أنه أكل بعض التمرات، فرمى بها، حول رجليه، فنمت النخلات بجانب العين، لتشكل ملجأ لكل من يستجير بالعين وتصبح فيما بعد مزارا

للناس والأجانب، هذه الأسطورة ظلت راسخة في ذهني والآن تذكرتنا والذي ذكرني بها هو صديقي الهداوي.

ويحدث أن يخرج الهداوي من منزله القديم، وهو يتلعثم بكلماته كأنها الحجر يلقي بها لمن حوله، كأنه يلعن الناس في سره، هكذا يطيب له أن يخرج من مخبئه كأنه شعلة تحرق نفسها بنفسها، آه لقد كان قويا في الأيام الأخيرة على الرغم من هول الأحداث، كان واثقا من نفسه، وهو ماض في طريقه بلا استسلام أو تنازل، كأنه المخلص الأبدي الذي لا غنى عنه...

****

كان يخرج لينهى الناس عن تشبثهم بالأصنام والتقاليد القديمة، لأنه كان يكره أهل "المعروف"، الذين يقيمون حفلة الشواء قرب؛ ضريح الولي الصالح: " سيدي يعقوب"، كان يعتبر ذلك ظلالا وخروجا عن جادة الصواب، والغريب في الأمر أنه كان يقبل منهم الشواء على الرغم من رفضه لهذه التقاليد، كان الهداوي شخصا غريب الأطوار، إذ على الرغم من خصامه الشديد معهم، كان يرضى بقطعة من "لحم الراس"، يعود بها نحو منزله القديم، فكان الصبية يطاردونه في الطريق، وهم يصيحون:

الهداوي آ الهداوي

-الهداوي، أبو راس خاوي

-عبد العالي، يا السد العالي

-ها هو الوالي، سيدي يعقوب الغالي

-قل ليه أشوف من حالي...

فكان يطردهم، ويقذفهم بالحجارة، مرددا:

-أسيروا يا أولاد الأبالسة.

-سيروا يا أولاد يأجوج ومأجوج.

-سيروا يا الشياطين.

-لعنة الله عليكم إلى يوم الدين.

كانت لعبة جميلة بين أطفال القرية والهداوي، تبين الجانب الآخر الطريف من حياته.

****

خرج كالأفعى ليبث سمومه في النفوس، ولكي يرعب المنبطحين الجبناء، الذين يخافونه ويحاولون تجنبه، واتقاء شره، خرج حاملا معه عناده وكبرياءه لينتقم من يأجوج ومأجوج، كان يحمل معه كيسا غليظا يضع فيه الحجر والطوب، ليقذف به نحو الجميع، أو يهوي على أحدهم وهو في غفلة منه، وحكاياته معهم كثيرة، وقد حضرتني حكاية قديمة له مع الأولاد في القرية، حدث مرة أن وجدوه خارجا من داره القديمة، فأخذوا يتصايحون وينعتونه باسمه:

-الهداوي...آ الهداوي...

-أجي لينا..أجي لينا

فما كان منه إلا أن أخذ معه نصف طوبة، فهجم عليهم، وما إن اقترب منهم حتى قذف بها في الهواء بيده اليسرى، فأصاب بها أحد الأولاد، فكانت الضربة كالمطرقة وهي تفلق الحجر، أو كالرصاصة وهي تخترق الجسد، فسقط الولد مغشيا عليه.

كانت ذكرى مؤلمة لمن شهدها، ولكن الناس لا يتعلمون من أخطائهم، إلا العقلاء منهم، العاقل هو من يحذره ولا يثق فيه، أما أنا فقد كنت أحتاط منه في كثير من المرات، لأنه مجنون، لكن لا يؤذي من أحب، وأنا صديقه المخلص له، والذي لم ينساه قط.

****

# الفصل الخامس:

# هواجس

هل أستطيع التخلص من الحزن الدفين الذي يعتصر قلبي، فيجعلني كالقشة التي تحركها الريح حيث شاءت، كما تتحرك أقداري، لتقذف بي نحو المجهول، نحو الحقيقة المريبة التي يخافها الجبناء، لقد كنت الوحيد القادر على تحمل الحقيقة وموازينها والتي ذهبت بنصف عقلي، جعلتني سيرة للناس يتسامرون بي في أحاديثهم.

الحزن الدفين الذي يعتصر قلبي، والعتمة التي تحيط غشاء القلب فتدميه ثم تعطله عن الإحساس والشعور بالذوات الأخرى، ها أنا ذا كسائح مجنون معذب أبحث عن الطريق المخفي وراء الظلام، هائم مجنون، أحمق مشرد، وحقير كحثالة تنتظر من يكنسها ليتخلص من عبئها، آه، أنا المجنون المعربد القاسي والمتكبر والمهاب، لا لشيء سوى أنني أصرح ولا أنافق ولا أغلف ظاهر الأشياء.

أنا العديم والمتعالي، أنا الباطل الذي خلفه أحدهم ثم غادر هذا الكون، ليتركني أواجه مصيرا ضعيفا مهزوزا منكسر الخاطر، آه، كل الكلمات لا تستطيع التعبير عما يجيش في صدري، كل الحروف مهزوزة متعبة لا تقدر على مجاراة معاناتي، كل الآذان خرساء لا تسمع أنين آهاتي، كل العيون عمياء لا ترى انكساري، بقيت هناك وحدي، أنا والماضي المستكين والذكرى الغابرة، والأحلام المهدورة، آه هل لديكم فكرة عن ما فعل أخي بالأرض التي خصها بنفسه من دوني؟ كيف سولت له نفسه أن يغرس السيف في قلبي؟ ويستل الشوك فيدمي به أقدامي، ويرسل سهمه ليطعن ظهري، من ورائي وخلفي، آه، كل كلامي ضائع لا يفهمه إلا العقلاء الذين يحسون بالقلوب وهي ترثي أجسادها وبالعيون وهي تدمع لتطهر باطنها ودواخلها المتعبة والحزينة.

****

جسدي الضعيف الواهن والمكلوم الذي يتحمل الضربات المتكررة والمتفاوتة في نسق واحد، فتمزق كياني وتجعلني أفقد القدرة على الاستمرار، ها أنا ذا كما عرفتموني أتفوه بحديث لا يكاد يبين، لا يفهمه إلا العقلاء، الذين يفرقون بين الحق والباطل، ويعرفونني حق المعرفة...

آه، لقد تم وصفي ونعتي بالمجنون عدة مرات لأنني أتجرأ على الناس فأبين لهم الحقيقة، التي يتناساها الجميع، الحقيقة المرة التي لا يريد سماعها أحد.

الحقيقة هي سمفونية القدر والوتر الذي يلعب عليه الشجعان، غير أن الحقائق المزعجة والمشاكسة، يتجنبها الجبناء المنبطحون الذين يعشقون الخدمة ويرضون بالمهانة والإذلال، ويعتبرون ذلك كرما من أسيادهم.

هل أزعجتكم أيها العقلاء؟

آه، لو أن أخي منحني بعضا من وقته، ليشرح لي نصيبي، من الإرث، ويطلعني على الحقيقة، بعد موت أبي، لكنت الآن أسعد الناس حظا، ولكنت أول من بارك له الأرض التي منحت له من طرف القبيلة، بل أساعده في إتمام مشروعه، لكنه أبى، ولم يقبل الحوار معي، بل كان معي فضا غليظ القلب، يبعدني عن جلساته السرية مع أعوان القبيلة، يناقشون مشاريعهم وخطواتهم في تكبر وافتخار، بعد أن خلت لهم الساحة، وبعد وفاة أبي أسي محمد و عمي العربي، هذا الجفاء من أخي عبد الرحمان هو الذي جعلني أشعر بالذل والمهانة ومرارة القرابة، أما الإقصاء والتهميش الذي طال أخي الفاطمي وأختي سمية، فقد جرح قلبي وأصاب أحشائي بمرارة :

"الفقصة"، ومن حسن حظ أخي أنني لم أعرف من قبل، لم أعلم بشيء من معاملته القاسية اتجاه إخوتي إلا بعد عودتي، ومواجهتي له بالحقيقة،

ومصارحتي له بما أشعر به اتجاه كل ما يحدث، في ذلك الوقت بدأت شرارة الغضب تشتعل في كياني ووجداني، كالقدح من اللهب ينتظر من يثير استفزازه ليحلق عاليا ويعلن عصيانه وتمرده وجنونه.

هكذا بدا اضطرابي الجامح، مما استفز جميع أعوان القرية، وجعلهم يتأهبون لمناصرة عبد الرحمان، بل يعلنون تمردي ووجوب طردي من القرية، كانوا ينعتونني بالغريب الذي قدم من المدينة مضمرا الشر، لينتقم ويفسد، ويتمرد على أخيه عبد الرحمان وقوانين القرية.

كنت أومن بالقوة التي تجعلني سيد نفسي، ذلك أنني لا أقبل المهانة ضد الضعفاء، أو ضد نفسي، كان الخير عندي أسمى المراتب يقربني من تحقيق العدالة والمساواة، لذلك لم أشعر بحب أخي عبد الرحمان لأنه كان قاسي القلب، متكبرا جبارا، وأنانيا لا يحب إلا نفسه، هكذا كانت سيرته عندي، أما الذي يجالسونه من أهل القرية، فهم يعتبرونه سيد الرجال الذي لا يقهر، وأنه صاحب الكلمة المسموعة على الصغير والكبير.

أما كلمته فهي لا تلزمني ولا تهمني، منذ أعلنت التمرد ضده والعصيان ضد كل من سولت له نفسه أن يقف في صفه، هكذا بدأت الحكاية، حكاية الشجار وحقيقته بيني وبين أخي عبد الرحمان الأناني المتكبر والاستغلالي.

في تلك الفترة خلال خصامي الشديد مع أخي، وحينما لمست عن قرب وقاحة أهل القرية، وتكالبهم ضدي، ووقوفهم معه في كل ما يقرره، انتابني إحساس غريب بالظلم والإهانة، فأعلنت امتعاضي الشديد من الجميع، وسخطي على كل شيء، فتحول هذا السخط إلى حقد دفين اتجاه الجميع، آنذاك بدأت أفقد عقلي تدريجيا من هول ما رأيت من الظلم، فقررت مقاطعة عبد الرحمان، وعائلته ومغادرة منزله بصفة نهائية، والعودة للمنزل القديم الذي كبرنا فيه.

كانت تلك الدار هي ملاذي الوحيد وذكراي المتبقية من والداي، سي محمد ومي عائشة، رمز الحنان منقطع النظير، ماض محمل بذكريات الطفولة وأحلامها الجميلة...

كنت حينما أغضب أذهب لأنتقم من عبد الرحمان وأعوانه، ذلك أنني تجرأت عليهم ذات يوم، فقمت بمعاقبتهم، كانوا مجتمعين في منزل أحد وجهاء القرية وقد أجلسهم في حديقة حقله أمام منزله، فهجمت عليهم وقذفتهم بالحجارة والطوب، كنت أحمل الحجر وأضرب بقوة وعنف وغضب فيتطاير الحجر كأنه طير أبابيل، فيصيب الجمع، فيؤثر فيهم، فوقعت إصابات بليغة، وخصوصا في فئة كبار السن، الذين ضعفوا وخارت قواهم فاستسلموا لضرباتي القوية، كنت واحدا وكانوا جمعا غفيرا، فتشتت شملهم وتفرقوا مثنى وثلاث ورباع...

رأيت بينهم عبد الرحمان، يصرخ وكأنه يطلب مني الكف عن فعلتي، ويتوعدني بالتأديب والعقاب، ويصرخ في الناس قائلا:

-عبد العالي دارها، عبد العالي دارها...

أما أنا فقد كنت أشعر بالنشوة والبهجة والتسلية، وأنا أحاصر المساكين، كقط أرهق فريسته فأطبق عليها بكلتا يديه، فرحا مسرورا بإنجازه، كانوا جبناء يفرون ويصيحون ويطلبون المغفرة والرحمة، لكنهم لا يعلمون أنهم وقعوا بين يدي عنيد لا يعرف الاستسلام...

كانت حادثة مؤلمة لهم ... غير أنها شفت غليلي، وأطفأت غضبي عليهم.

هذه الحادثة هي التي جعلتهم يفكرون في حيلة، للخلاص مني، فكانوا يرغمونني على شرب أدوية مشعوذي القرية، بتحريض من عبد الرحمان، بعد

ذلك بدأت حالتي تزداد سوءا، إلى أن بدأت أفقد قوتي وسيطرتي على أعصابي، بدأت أفقد عقلي تدريجيا، فأصبحت مسالما لا أضر أحدا إلا للضرورة.

هكذا تحولت من عدواني عنيف إلى مسالم يعتزل ويتحاشى الناس.

***

يطيب لي أن أتجول كل يوم ليلا، والناس نيام، فأحس بحركة صوت أقدامي وهي تعبر الطريق، وبنشوة العابر، وهو يرتاد الخلاء الموحش، ويخترق الظلام الدامس، كنت أضحك بهستيرية، حينما أتذكر جبن الناس الذين يتهربون من هذه الأزقة المظلمة، فأسخر منهم ومن تفاهة عقولهم، وحماقتهم، أقطع الطريق بين الدوار والوادي؛ لأصل إلى المنزل القديم الموجود فوق الهضبة، هكذا يحلو لي العيش بمفردي بعيدا عن الناس والضجيج. في هذا الخلاء المقفر لا صوت يعلو ماعدا نهيق حمار من بعيد أو نباح كلاب شاردة آتية من بعيد.

ليل موحش وظلام مطبق يخيم على كل شيء، على الذكرى والفراغ والحلم الميت...

هكذا أمضي حياتي متخفيا عن الناس في النهار، حاضرا في متاهات الليل كخفاش يتدلى من السقف ليثبت وجوده، ذئب منعزل شارد مثل كل الكائنات الليلية التي تحتفل بقدوم الليل البهيم المظلم، ساتر النزوات.

أحب أن أختفي في الظلمة لأنني ابن الظلام الأبدي الذي لا نهاية له، إذ كلما أبتعد أجدني أتوغل في السواد الدامس الذي يحيط بالأرجاء، فيبلعني ويحولني إلى لا شيء أو عدم، فأسير بخطى هادئة لأتحسس كياني وأرمم ذاكرتي المجهدة، وأعيد ترتيب أفكاري المبعثرة، و تهييئ ذهني المشوش بعد يوم متعب مع هؤلاء الحمقى أستجدي رغيف يومي، أطلبه من الباعة وأصحاب المحلات والمقاهي، لأسد جوعي وألبي حاجتي، على الرغم من أن أخي عبد الرحمان وصديقي عبد المجيد كانا يحضران لي معهما بعض الطعام، كل مرة حين عودتهم لتفقد أحوالي أو متابعة حالتي الصحية...

اتضح لي أنني عشت حياة قاسية في الظلام، وأن كل ما بنيته في سنوات، ما بين دراسة وعمل وكفاح، تهدم في لحظات، حياة مملة لا تأتي بجديد يذكر.

كل ما تحلم به الآن، هو تلبية حاجياتك، من الأكل والشرب، في هذه القرية البائسة يداخلك شعور أنك ميت، فتطفو الذكريات فوق جثتك تمعن في تعذيبك، وتطيل في الرثاء لتخبرك بأنك قد انتهيت ولم يعد لك وجود، لم يعد لك سوى بعض اللحظات الماضية التي سرقتها من سنواتك التي ضاعت هدرا، فوق جسمك الميت، الموجود بجانب الجثث الأخرى التي تعيش معك في هذه القرية، تعشش الأحزان والآلام وتنمو بكثافة، تضع لها موطئ قدم لتصيبك بشلل دائم يمنعك من القدرة على تدارك ما فات، فيصبح ما فات ذكريات عابرة تعيد نسجها في الخيال، فترسم لها أحلاما وأشكال مراحل سعادة مؤقتة، وحين تنتهي من ضحكاتك المتوثبة تعاودك نوبة البكاء الهستيري، الذي تحن فيها لأيامك الماضية، تتذكر معها والدتك الحنون وأبوك المهاب الذي تقشعر الأبدان لذكراه المؤلمة، أيام أصابته "الفقصة"، نتيجة فقدانه للأرض التي كانت موضوع نزاع بينه وبين عمك.

هكذا كانت حياتك، شد وجذب بين الماضي والحاضر، بين الواقع والخيال، فيصير ماضيك حاضرك، وخيالك هو واقعك، لتكتشف أنك ما زلت في نقطة الانطلاق، لم تبرح مكانك، لم يتغير شيء سوى انصرام الأيام والسنين وانقضائها، وتغير شكلك ومظهرك، مع نمو بعض الشعيرات البيضاء، تخبرك أنك ما زلت على قيد الحياة، وأنك تجاوزت سن الأربعين، وأنك ميت في جسد ما يزال يصارع من أجل البقاء، جسد تكالب عليه المرض والصرع، فجعل منه قصبة أو جذع نخلة نخر، فارغ من كل شيء، إلا من ذكرى مؤلمة واسم مسجل.

وأحلام يقظة مزعجة تطرح أسئلة مصيرك، وتتساءل عن جدوى وجودك، في حين تحاول أنت طرد تلك الأفكار والأسئلة التي تنغص عليك عيشتك، وتجعلك غير قادر على تحمل الحقيقة ومصاحبتها، الحقيقة الضائعة والمؤلمة التي تتحاشى الحديث عنها فيما يخص حالتك، بين ما تلوم أهل القرية وتعاتبهم، وتكيل لهم كل ما ينغص عليهم عيشهم، ويجعلهم يفقدون أعصابهم.

كنت تنتظر أن يأتي شخص ما، ليخلصك من هذا العذاب الأبدي، يخفف عنك آلامك، ويداويك من مرض الصرع، الذي يباغتك يوميا فيلقي بك صريعا، لا تتذكر أحدا ولا تعرف شيئا.

مرض الصرع الذي جعلك في نظر الناس كالأحمق، الذي يجب أخذ الحذر منه، واتقاء شره ما أمكن، ومحاولة تجنبه، اللهم إلا من بعض الأصدقاء الذين يحفظون العهد على الرغم مما وقع لك، أعني هنا صديقي عبد المجيد الذي ساعدك كثيرا، أنقذنك من هذا المرض الخبيث، الذي كاد أن يودي بحياتك، جعلك ترى الناس والحياة من جديد.

***

# الفصل السادس:

# العشق

حينما أتجول في الوادي حافي القدمين، عاري الرأس، مستسلما خاضعا لحر الشمس، وقيض الظهيرة، في جولة كبيرة، يطيب لي أن أغرق في هذياني، وحديثي الداخلي الذي يعطيني معنى الحياة، كنت فيما مضى أفكر في حياة سعيدة، تكوين عائلة وأولاد، وبناء منزل وتوفير سيارة، لكن ذلك لا يوجد إلا في أحلام اليقظة التي تجعلني أنتقل من عالم القرية، إلى عالم آخر لا مثيل له، أصنعه في تخيلاتي، وأفكاري، أتذكر حبيبتي الطالبة، التي قضيت معها سنوات الدراسة الجامعية بشوق كبير، كان اللقاء الأول ذات ربيع باردا، من كل شيء من العواطف والأحاسيس، باستثناء الملابس المميزة، كنت أرتدي قميصا أبيض اللون جميل المنظر وبنطلونا أسود أيضا، بحيث أستطيع جذب جميع الفتيات، لقوة شخصيتي وسحرها.

أما هي فقد ملكت قلبي من أول نظرة، كانت ترتدي لباسا أسود مغري، وقد عرض بطريقة تمكنك من النظر إليه، والتحديق الطويل في تلك الأزياء والأشكال المختلفة لطالبات الجامعة، بحيث يكون ذلك هو حالهن هذا الشهر، الذي يصادف فصل الربيع الجميل، والذي تتلون فيه الطبيعة، فتصبح كساحرة غجرية تطرب وتضحك وتسمع، فتوقف لحظات الزمن في مشاهد استعراضية منقطعة النظير، كأنها مهرجان زاحف يتحرك وينبض بأناس تستهويهم الرقصات والألحان، فيعبرون عن بهجتهم وسرورهم، وهم يستعرضون الأزياء والألوان المزركشة والزاهية في صخب دائم.

وسرعان ما قصرت المسافة بيني وبينها، تعرفت عليها أول مرة، كانت متخلقة ومتأدبة، بشكل يداخلك فيه شعور أنها هي الوحيدة التي خلقها الله للرجال في هذا العالم...

كانت جميلة الوجه واليدين، بيضاء البشرة، ممتلئة الجسد، تبدو عليها علامات الدهشة، أول مرة صادفتها فيها، لأنها ترى أمامها شاب من الجنوب عليه علامات الأسى وكأنه يحمل معه معاناة أهله.

سرعان ما تبددت هذه الدهشة ليحل محلها المرح، أصبحنا نناقش مواضيع فلسفية عدة، ناقشنا الوجودية والمادية الجدلية، والعدمية والراديكالية، لم نترك موضوعا إلا وخضنا فيه، اكتشفت أنها متأثرة بوجودية سارتر وأنها تحب الاهتمام بالإنسان والآخرين، وأنها تحب من يعطيها قيمة ويرفع من شأنها، كنت أتحدث معها كثيرا عن الوجودية، وقيمة الإنسان، كانت تصاب بالإحباط حينما أحكي لها عن معاناة الإنسان، وأنه لا قيمة له داخل مجتمع، وأن اليأس والألم يملآن كل شيء في هذا الوجود الكئيب، وأنه لا مكان للضعفاء...

أما هي فتؤمن بحرية المعتقد والفكر والإنسان، وترى أن الإنسان هو صاحب حرية وفكر ومعتقد واختيار، الحرية المطلقة بدون قيد أو شرط.

لكنها لا تعلم أن الإنسان عندنا في الجنوب مسير لا مخير، بل أكثر من ذلك مجبر على المحافظة ومسايرة التقاليد والعادات التي وضعتها القبيلة، ولم تعلم كذلك أن النساء والفتيات في مثل سنها، يلزمن البيوت، ويمنع عليهن الخروج.

كانت تتحدث عن القلق الوجودي بكثرة، وتتساءل عن سبيل الخروج من العبث والعدم، نحو حياة حرة مستقلة ومرحة، واحترام القيم الإنسانية النبيلة وحقوق الإنسان وحرياته، كانت هذه الفتاة تتطلع للتغيير...

أما أنا فقد كنت عدميا تأثرت بأفكار الفيلسوف: "نيتشه"، وآمنت بالقوة، رافضا كل مظاهر الاستعباد والاستبداد.

لقد أحببت هذه الفتاة؛ غير أن سنوات الدراسة الجامعية كانت قصيرة، كنت أعتقد أنها ستظل معي إلى الأبد، لم أعتبرها في يوم من الأيام صديقة بل حبيبة، وقد فوجئت ذات يوم حينما عدت من بلدتي، بعد مضي فترة، أنها لم ترحب بقدومي، وأنها اتخذت لها أصدقاء وأخلاء جدد، كان ذلك أشبه بالصدمة، تيقنت خلالها أن هذا العشق ما هو إلا عشق للفلسفة وليس لتلك الفتاة، كان حبا من طرف واحد، أو عشق ساذج، كفرت بالحب منذ تلك اللحظة، وأعلنت سخطي على طالبات الجامعة، وانعزالي الشديد، الذي بفضله وقعت أسير الجنون في البلدة بعد عودتي مباشرة، من الجامعة، هذه العودة كلفتني الشيء الكثير، وجعلتني أدفع الثمن.

****

:

# الفصل السابع :

# الاعتراف

كان هذا الإحساس يلازمك دوما، ويجعلك تشعر بطعم المرارة، مرارة الخيانة من طرف المقربين إليك وخصوصا أخوك عبد الرحمان، الذي تخلى عنك في أسوء الظروف، فقطع صلة الربط بينك وبينه، عبد الرحمان لم يتخلى عنك فقط بل ساند أهل القرية ودافع عنهم ضدك واستغل طيبتك وجنونك ليفتك بك، ولولا لطف الأقدار وسعي صديقك عبد المجيد لإنقاذك من براثن الجنون والتشرد، ومحاولته إعادة المياه لمجاريها بمساعدة من أصدقاء آخرين في مراكش كانوا يحبونك منذ أيام الجامعة، لولا ذلك كله لكنت الآن متروكا منبوذا في الدار القديمة كالكلب، تبحث عن فتات خبز أو قطعة سكر تسد بها جوعك الدائم، أو تبحث عن قماش تلف به رأسك المريض بالصرع والذي يقاوم نوبات الجنون المتتالية.

لقد تخلى عنك عبد الرحمان في الوقت الذي كنت تعتقد أنه في مقام والدك، كما تخلى عن الفاطمي وسمية، وتركك دون أن يسأل عن أحوالك وكأنه سعيد بجنونك، لأنه كان يتابع رأي زوجته وأبنائه فيك، فكان يعجبه أن يتركك لجنونك تقاسي، وتتألم في صمت، هناك في الدار القديمة، فاتخذها ذريعة لإبعادك من منزله، آنذاك أحسست بهذا الشعور المرير كما أحسست بما شعر به أبوك وهو يكتشف الحقيقة، في أنه ظلمك أنت وإخوتك الفاطمي وسمية ولم يوفر لكما أرضا أو يحفظ لكما حقكما من أخيه العربي وابنه عبد الرحمان، هكذا ينكشف الوجه الحقيقي لعبد الرحمان الذي شارك في الجريمة وكان سببا في معاناتك القديمة، وحينما عدت لرشدك وفتحت عيونك في مستشفى مراكش، لم يصدق هو ذلك الأمر، بل إنه شعر بالذنب مثل إخوة يوسف الذين ألقوا به في الجب وباعوه بثمن زهيد.

لقد باعك أخوك لأهل القرية بأرخص الأثمان؛ لا بل وهبك لهم، ولولا شراستك وقوتك لفتكوا بك منذ زمن، ولكن كنت قويا طيلة السنوات واتخذت لنفسك

موقفا متميزا، عكس الفاطمي الذي فضل الارتماء في أحضان أخواله، كطفل صغير يفتقد الحنان.

****

آه، ما أقسى مرارة الخيانة؟

شيء مؤلم يجعلك تتعلم الدروس، كما يجعلك تتعلم كيف لا تثق في أحد، حتى ولو كان أخوك، الذي ولدته أمك، كل شيء مر عليك في هذه الحياة علمك القسوة بشتى مظاهرها؛ لأنك في عالم قد يقتلك وينكل بك ويجعلك عبرة لمن اعتبر، هذه اللامبالاة من طرف أهل القرية؛ وهذا الضياع الذي تحس به، وأنت تعيش بينهم كحمار كبر، فخانته قواه، ولم يعد ينفع في شيء، أو يصلح لشيء، لم يعد قادرا على تحمل أعباء سيده فيتركه هناك، في الطريق ضائعا تائها، ليصبح عرضة للأولاد يلهون به وقد يضربونه بالحجارة.

****

حينما مرضت شعرت أن كل شيء ينقلب رأسا على عقب في حياتي، أغرق وأغرق، دون أن أكون قادرا على فعل شيء، فقد جهازي العصبي قدرته على التحمل فانفجر، مما سبب في جنون دائم وهذيان لا يمكن وصف بشاعته.

لم أتحدث عن الفلسفة بل لم أعد أريد الخوض في ذلك الجدال العقيم، بسبب صديقي عبد المجيد الذي نصحني بعدم الحديث عنها، لأن ذلك سيبطل مفعول العقاقير التي آخذها، لقد قذفت بي تلك الفلسفة نحو أشياء لم أكن أريدها، بل خلقت لي عداوات مع أهل القرية والفقيه والجميع، وأدخلتني في غيبوبة فكرية حاولت التخلص منها بصعوبة، لأن التجربة كانت قاسية والنسيان هو أصعب مرحلة يمكن أن تمر بشخص ما زال يتعلق بأطلال الماضي، ما زال من أتباع المدرسة البكائية، التي ترثي الماضي، وتجتر الآلام والأحزان في صمت.

****

لا شك أنكم تريدون معرفة المزيد مما وقع لي، ترغبون في معرفة ما أشعر به الآن بعد شفائي، من ذلك المرض اللعين، أقول لكم الآن أنني أشعر بالتحطم من كل شيء أمامي، أصبحت الآن بدون هوية أو مستقبل، ليست لي وجهة محددة، سرقوا مني كل شيء، حتى ذلك الماضي الذي كان بمثابة خزان أبث فيه أحزاني، وأضحك كثيرا لمواقفه، أصبح الآن ذكرى زائلة وحلم قصير.

فقدت كل شيء، ماضي ومستقبلي، أنا الآن أتواجد في العتمة والفراغ، أعيش الموت البطيء، لم يبق مني غير جسد ضئيل وعينان غائرتان ووجه شاحب، وأحلام اليقظة، كوابيس لا تنتهي، ومعاناة نفسية رهيبة.

أنا الآن شخص آخر لا علاقة له بعبد العالي، ولا يعرف عنه شيئا، ذات محطمة مسحوقة، غابرة في التاريخ، له ذكريات المجانين، وأفعال الصبية.

****

تعلمت ألا أخجل من نفسي، بالرغم من كل ما حدث، وأن أنهض لمواجهة الناس، كل مرة أسقط فيها، أتذكر المثل القائل:

-الذي لم يخرج من الدنيا، لم يخرج من عواقبها.

لقد مر كل شيء، بعد معاناة طويلة، حيث وقعت أحداث أثرت في ذاكرتي، وجعلتني شخصا آخر عنيد ومكابر، بل مقاتل حقيقي لا يقبل الهزيمة؛ أقول هذا الكلام وأنا أسترجع ذكرى غرق أخي عبد الهادي الأليمة، لا أعرف كيف أتذكرها من حين لآخر، حيث ترقد الذكرى في مخيلتي كشبح مخيف، تطل علي بين الفينة والأخرى، فتمنعني من النوم، وتجعلني كعاشق أسير ليله الداجي، لا تعرف عيونه الساهرة النوم ولا تطيقه.

استمر معي هذا الحادث الأليم طيلة سنوات، منذ غرقه، وإعلان خبر وفاته، وانتشال جثته من الوادي، كل هذه الأحداث هي الآن صور تتراءى أمامي، كأنها اليوم، ذكرى حزينة عرفت من خلالها الموت وقرأته على جسد أخي، إلى جانب الخطيئة التي كنت أحملها معي، لأنني تركته وحيدا وذهبت، كنت ضعيفا في تلك الفترة، كان بإمكاني فعل شيء لإنقاذه لكنني عجزت وضعفت، كان يكبرني بسنتين، لكنه كان صديقي المفضل، على الرغم من أنه كان أخي من أبي، وهو شقيق عبد الرحمان، إلا أنه كان طيب القلب صبورا، لا يحمل في قلبه ذرة حقد لأحد، كان يحبنا جميعا، نحن الصغار، أنا والفاطمي وسمية، وكان يعاملنا بلطف وكرم، كان اليد الكريمة التي قطعت فافتقدناها كثيرا.

بكت أمي عليه كثيرا على الرغم من أنها لم تكن أمه الحقيقة، فأمه ماتت، وناحت نساء القرية كثيرا وأكثرن البكاء، أما إخوتي وأبي فقد أخذت الصاعقة وجوههم، فأمعنوا في الصمت، كان وجه أبي في ذلك اليوم حزينا يبدو عليه الرعب واليأس، حتى لم يعد قادرا على الكلام، أو رد التعزية، لأن وفاة ابنه كانت صادمة، فحولته إلى جسم ذابل.

كنت أنام عند قبره أيام مرضي، وأحضر له الماء لأغسل به قبره، وأبكي عليه، كنت أبكي مثل نائحات القرية وبصوت عال وقهقهة لا تبين، أمعن في الشكوى والعتاب واللوم، حتى يغلبني النعاس، فأراه في أحلامي مثل فارس بثوبه الأبيض سعيد أو كريما، ذات يوم رأيته على نهر وماء جار، مد يده بحفنة من الماء، فسقاني منها كنت سعيدا، إلا أنني استيقظت قبل إنهاء الحلم.

****

أنا الآن كحجر تقذف به الأيادي، وتلوح به في الهواء، ليستقر هناك في الخلاء، أو يهوي على رأسه أحدهم فيخترق جمجمته، ويدميه، أنا الآن كمسمار معوج رمى به صاحبه، لم يعد يصلح لشيء...

أنا الآن كمقبض انفصل عن حديدته، أو غمد خرج منه سيفه، فأصبح كالأجوف يعيث فيه الهواء فسادا، لم أعد أصلح لشيء، أو قادرا على فعل شيء، مجرد من إنسانيتي وآدميتي، وحش مفترس كاسر، قض مضجعه الصرع، وحوله إلى حثالة حقيرة، لا فائدة منها...

أحس أنني قد ولدت من جديد، بعد أربعين سنة من المعاناة والألم، ولدت الآن بعد انتهائي، أصبحت شخصا آخر خرج من رحم المجنون، فكر صامت،

متأمل للحياة والناس، ابتعدت عن الفلسفة والفكر، صنعت لنفسي كيانا آخر، مسالم، طيب ومنبطح؛ أصبحت القوة التي أفتخر بها سابقا ضعفا، وتحولت الشجاعة إلى جبن، أما العناد والمكابرة فقد أصبحا طاعة عمياء، صرت مثل الدابة الخرساء، تسمع وتطيع، لا تستطيع الاعتراض عن شيء، أصبحت إنسانا ودودا، أقابل الناس ببرود ولطف شديد، علم صديقي عبد المجيد أنه مفعول الأدوية والعقاقير التي جربت علي مؤخرا، وأن الطبيب أفلح في ترويضي بمسكناته، فجعلني مثل الدابة أو الشاة؛ ما عاد أحد يهابني، هكذا كنت آخر أيامي، وهكذا أصبحت، لا حول لي ولا قوة، كالعلقة خلقت أول مرة، لتنمو ببطء، تكبر وتتقوى لتصبح خلقا، خرجت من العدم وانتهت إلى العدم، خرجت من التراب فكان مصيرها التراب.

أصبحت ذاتا عاجزة مكلومة ومتعبة، وصلت حد الانتهاء، عجز هو أقرب للموت، من الإعياء، وانتهاء أقرب للفناء من العيش.

****

# الفصل الثامن:

# الحقيقة

كنت أتساءل عن حقيقة الأرض التي سلبت من سي محمد، وعلاقتها بجنون صديقي الهداوي، ذلك أن الحقيقة تشوهت وضاعت وسط زحام الحياة، لقد تشابكت خيوط الحكاية، ولم أجد من يشرح لي، ويخبرني بالحقيقة، لأن الذين يعرفونها قضوا في صمت، ماتوا جميعا، ودفنوا فدفنت حقيقة الأرض معهم، بلعتهم الأرض فبقيت أسرارهم مخفية، لم يعد هناك من أحد أثق فيه ليخبرني بالحقيقة، حتى الهداوي نفسه نسي كل شيء، لا يريد استرجاع الماضي، أو إعادة إحياء أحزان العائلة، لذلك قصدت الدار القديمة لكي أبحث عن خيط يوصلني للحقيقة، كنت أعقد الآمال على المخطوطات، التي قيل لي بأن الهداوي يحتفظ بها وأنها هي سبب جنونه، لم أصدق أيا من هذه التفاهات، لأنني لم أطلع عليها، حينما كنت أزوره...

حان الوقت لاستغلال الفرصة، الآن، فالهداوي غادر الدار منذ شفائه وهو الآن في رعاية أخواله، أما الدار فقد هجرت ولم يعد أحد هناك، سأقتحم الدار لأبحث عن المخطوطات، التي توصلني للخيط الذي بفضله أعرف ما تبقى من حكاية الأرض، هذه المخطوطات ستعطي إجابات دقيقة عن سبب تخلي سي محمد عن أرضه للقبيلة، وعن الأسباب التي مكنت سي عبد الرحمان الابن البكر لسي محمد، من الحصول على أرض لبناء منزله، والسبب الذي حرم من أجله أبناء سي محمد من أرضهم؛ وهم؛ عبد العالي والفاطمي وسمية.

بعد وصولي للمنزل القديم المقصود هناك، تحسست الباب فوجدته مقفلا، دفعته بكلتا يداي، فوجدته صلبا، غير أنني رفعته قليلا، فأحسست به يطيع دون مقاومة، ثم دخلت الدار، كما عهدتها، حينما كنت أزور صديقي عبد

العالي، وجدت أشياءه وأغراضه القديمة ملقاة هناك في إهمال شديد، قمت بتشغيل المصباح اليدوي لأن الظلام كان كثيفا يحجب الرؤية، ثم بحثت مليا عن المخطوطات التي وصفت لي، فتشت كل شيء، مضت ساعات وأنا أبحث وأنقب علني أجد شيئا، لكنني لم أجد شيئا، أصبت بإحباط شديد، ففكرت في الخروج وترك الموضوع نهائيا، لكنني عزمت على المواصلة، حتى لو أدركني الليل، فجأة وجدت أحد الصناديق خلف مزلاج باب الغرفة، كان صغير الحجم، مدفون في قلب الجدار بطريقة عجيبة، لم أنتبه إليه حينما كنت أزور عبد العالي، والغريب هو أنني أول مرة أراه هناك، اقتربت منه، حاولت أخذه لكنه مثبت على الجدار بقوة، بعد أن حفر له صديقي الهداوي حفرة تناسب حجمه، ثم أغلق عليه باب الغرفة، من الخارج، عالجته محاولا فتحه، أمضيت نصف ساعة و أنا أحاول تخليصه من ذلك المكان.

وأخيرا، أخرجته من هناك، ووضعته في كيس، ثم غادرت المكان...

****

انتظرت حتى الصباح، فأخذت الصندوق واتجهت به صوب الحظيرة {مأوى الحمار والمواشي}، هناك سأكون قادرا على فتح الصندوق والاطلاع على ما فيه.

عالجت الصندوق فوجدته مقفلا بإحكام، كنت أحاول فتح القفل الصدئ، الذي أحكم قبضته على طرفي الصندوق، أخذت الحديدة التي كانت معي، ثم وضعتها بين فكي القفل، فضربته بواسطة حجر، توالت الضربات بسرعة، حركت نبضات قلبي، فأصبحا معا يعزفان سمفونية الخوف والتوتر الذي حصل لي.

وأخيرا فتحت الصندوق بعد ضربات محكمة متواصلة، وجدت بداخله، بعض المناديل القديمة، أعتقد أنها كانت ذكرى أم عبد العالي، المرحومة "لالة عائشة"، التي لازال يحتفظ بها، ثم وجدت بعض الأوراق، دفتر مذكرات كان معه منذ الجامعة لكنه أصبح باليا، وبعض الأوراق القديمة، والصور الشخصية لعبد العالي، لكن ما يهمني الآن هو تلك المخطوطات القديمة التي وصفت لي والتي تحمل حقيقة بيع الأرض، أرض سي محمد، والسبب الذي جعل أبناءه لا يملكون أرضا...

هذه المخطوطات ستكشف لي الحقيقية التي كنت أبحث عنها، وأنا أتابع حالة صديقي عبد العالي، الوجه الثاني للحقيقة بعد أن استنفذت السبل وأنا أبحث وأنقب، فكان أن عرفت سبب جنون عبد العالي ويرتبط بخصومة قديمة بينه وبين سي عبد الرحمان وموت أبيه؛ أما الوجه الثاني فالمخطوطات ستكشف عنه، وستجعلني أعرف قصة الأرض التي سلبت من والده.

عثرت على بعض الرسائل القديمة لكنها كانت ممزقة، وبالية، أمعنت النظر فيها جميعا، فوجدت أنها رسائل مرتبطة بأراضي القبيلة، فعلا، ويبدو أن ما كنت أبحث عنه وجدته فعلا.

قرأت في احدى الرسائل ما يلي:

-الحمد لله وحدة والصلاة على النبي الكريم أما بعد:

فهذه الأرض، الكائنة فوق" تبكي"، وهبت لسي محمد وشقيقه العربي، ب "دخيل" أهل القبيلة لبناء جامع لقبيلة.

والسلام.

لم أصدق حقا ما قرأته، لقد استبدلت أرض اسي محمد بالأرض القديمة الموجودة فوق الجبل هناك، في مقابل منح أرضه للقبيلة لبناء المسجد عليها، وهو السبب الذي جعل سي محمد ينعزل عن الناس، ويبني منزله هناك فوق الهضبة، لكن الندم ساوره في آخر أيامه قبل موته، لأنه لم يحافظ على أرضه، وهو ما جعل عبد العالي ينتفض بعد اكتشافه لحقيقة هذه الرسالة، وإعلانه التمرد على أهل القرية، وبذلك أكون قد تعرفت على حقيقة الأرض التي بسببها مات سي محمد ب "الفقصة "، وجنون عبد العالي وهو متعلق بخيوطها.

كما اكتشفت أيضا أن الخصومة بين عبد العالي وأخيه عبد الرحمان، تسبب فيها أهل القرية بشكل مباشر، لأنهم هم من ساعدوه على طمس حقيقة الأرض، التي أخذت من والده سي محمد، دون سداد ثمنها على الأقل، وهو السبب أيضا الذي جعل عبد العالي يكره المسجد، ويرى فيه نذير شؤم له، لقد كان يقول لي بأن المسجد بنيت أركانه وشيد على باطل، الآن فهمت قصده، الآن عرفت حقيقة عائلته التي تعرضت للتهميش، هي حقيقة من بين الحقائق التي اكتشفت عن عبد العالي، جعلتني أتعاطف معه، وأبكي لأجله...

لم أجد غير رسائل قديمة بعضها تخص الإرث، والبعض الآخر يخص شؤون الفلاحة، أما المخطوطات التي زعم أهل القرية أنها توجد بحوزة الهداوي، فهي ضرب من الخيال، ولا أساس لها من الصحة، لقد أصبح الهداوي أسطورة تحكى للصغير والكبير في القرية، لذلك نسجت حوله أساطير عدة بعضها كاذب والبعض الآخر من وحي الخيال.

# الفصل الأخير

## الذكرى:

كل ما قلته لكم سابقا عن الهداوي صديقي، أثر في وجعلني أستعيد ذكراه بألم وحزن شديدين، أنا الآن أفتقده، وأذكره بخير، لقد كان ذكرى طيبة لي، وأسطورة يرويها الصغير والكبير في القرية، كان من أصدقائي الأوفياء الذين لا أستطيع نسيانهم، تركناه عند أخواله، ليستعيد عافيته؛ ولكي يرتاح من تعبه، لقد كان في صحة جيدة، يتماثل للشفاء يوما بعد يوم، وقد شفي تماما من مرض الصرع، أصبحت حالته مستقرة، غير أننا فوجئنا بخبر محزن وأليم، خبر نزل علينا كالصاعقة، وصلنا خبر وفاة عبد العالي، ولما استفسرنا عن السبب، قيل لنا بأنهم وجدوه ميتا في غرفته، ولا راد لقضاء الله وقدره، لم أصدق الخبر، كنت مصدوما، فغمغمت:

إنا لله وإنا إليه راجعون...

رحمك الله يا أعز الناس.

ذهب عبد العالي للقاء ربه، وهو خال الصحيفة من الخطايا والذنوب، ذهب ولي الله لله، فليرحمه الله، هذا الإنسان الطيب جميل الخلق...

****

إلا أن فرضية وفاته، بقيت أيضا محل شك، فقد تركناه في حالة جيدة، وكنا نعرف أنه سيتماثل للشفاء، وأنه يقضي فترة راحة، فكيف أمكن له أن يموت بهذا الشكل المفاجئ، هل يمكن أن يكون قد انتحر؟، إذا كانت هذه الفرضية صحيحة، فما هو السبب الذي جعله يقدم على هذا الفعل الشنيع؟ وإذا قلنا بأن أحدهم هو من قام بقتله، فمن له المصلحة في وفاته؟ من يريد السوء لعبد العالي؟

تزاحمت الأسئلة وهي تطرق فكري المتعب بقوة، وتهد ذهني الشارد، وهي أسئلة عصية على الفهم لحد الآن.

****

أسترجع تلك الذكرى المؤلمة والمخيبة بنفس حزين، وآهات متقطعة، ألم فيه بساطة الجنوب، التي لا تخفى على أحد، ذلك هو عبد العالي، رمز الأرض والتراب والوادي، والحلم البسيط، رمز الحياة؛ والطفولة الجميلة، رجل توالت عليه المصائب، وعاندته الحياة فلم يقوى على المجابهة، بل استسلم، وترك جسده النحيل فريسة للصرع والجنون، وألقى بنفسه في دوامة المشاكل، دون مبالاة، حكايته الحزينة تشبه شريطا منظم للتاريخ، تتابعه لتقف على الأحداث، فتقيس هول الظلم الذي وقع، وحجم المأساة التي ارتكبها أشخاص، وتورط فيها آخرون، ضحايا عيش قاس مؤلم هناك خلف الجبال، في تلك القرية المنسية والمدفونة في الرمال، يمر بجانبها الوادي الذي جفت ينابيعه بفعل الجفاف، وقسوة الطبيعة، وظلم البشر، القسوة التي ميزت أهل القرية وجعلتهم يعرضون عن كل فرد منهم، ويتخلون عنه في محنته، بل يتركونه لجنونه ومعاناته.

****

أنا الآن أقف على قبره، الماثل أمامي، هنا، بجانب مقبرة القرية؛ بعدما أفرغت عليه نصف إناء من الماء، مستعينا بآيات من الذكر الحكيم، ترحما على روحه الطاهرة، أقف بإجلال ورهبة لتوديعه إلى مثواه الأخير، تذكرت جنازته التي أقيمت له خلال السنوات الماضية، والتي حضر فيها الجميع لتوديع رجل فتن أهل القرية بحكايته، أتذكر أن الناس كانت عيونهم تملأها الحسرة لأنهم

فقدوا شابا في مقتبل العمر، وفي نفس الوقت كانوا مبتهجين فرحين لموته، لأنه كان يعيش في عذاب أليم مع الصرع والجنون.

تذكرت قول الفقيه وهو يقرأ الفاتحة ويودعه، ويطلب من الجمع الغفير توديعه بالدعاء لأن يرحمه الله ويغفر له خطاياه:

-كل ميت مستريح أو مستراح منه:

فأما العبد المؤمن فيستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله. وأما والمستراح منه؛ العبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب.

كلمات كانت تدوي في سمعي كأنها الرصاص، فتبعث في نفسي الأسى، والخيبة، لا أستطيع وصف شعوري، حينما حملوا نعشه على الأكتاف وهم يذهبون به صوب المقبرة كان الطريق طويلا شاقا، بحيث لم تقدر رجلاي على المشي، تثاقلت وتباطأت بشكل رهيب، أصابتني نوبة الهلع والخوف وأنا أنظر إليه وهو ممدد فوق النعش، وقد لف جسده الواهن في قماش أبيض ملائكي، والريح الهادئة تحركه من حين لآخر، سالت معه دموعي، دون شعور، استسلم الناس للصمت وهمهمت الدعاء بالرحمة والغفران للميت أما أنا فقد انتهيت كليا، إضافة إلى عجزي التام عن الوقوف والسير، أمام رهبة المشهد، فقدت القدرة على الكلام.

****

أنظر الآن إلى قبره الطاهر وهو يرقد إلى جانب القبور الأخرى، لتتخذ لها مسافات وأمتار كأعمار ضائعة، القبر الذي ابتلع الأحلام، وأخذ معه عيون ودموع الأهل والأقارب والأصدقاء، القبر الذي فتح يديه وصدره لاستقبال الميت، واحتضانه، والذي أراح الميت من عذاباته وأحزانه، ستر جسده الدفين وواراه، فحجبه عن أنظار الناس، ثم حلق به في السماوات، تاركا وراءه حنين الذكرى المؤلمة.

ذكرى مؤلمة، ذكرتني بحديثه الشيق، وهو يحدثني بخصوص أفكاره عن القبيلة، كان يقول لي:

-وستصرخ ذات يوم أن كل شيء باطل.

نعم يا صديقي كل شيء باطل بعدك، لقد صدقت في قولك، فلم يعد هنا، شيء يسير في طريق الهدى، لم يعد هنا شيء يستحق، كل شيء أصبح مبالغ فيه، فقدت الدنيا البوصلة، وفقد طعم الحياة.

كل شيء باطل لأنك عشت حياة لا تستحقها، ولأنك ولدت في زمن " النحس"، زمن النكوص، والخيانة والألم، والمعاناة.

تذكرت قوله:

-لماذا نحن نحيا وكل شيء باطل؟

اكتشفت أنه كان يقول الحقيقة، الهداوي ضحى بنفسه ليعيش الآخرون، ليعيش عبد الرحمان والفاطمي، ولينعم أهل القبيلة بالطمأنينة والرخاء، الهداوي عاش حياة عذاب ومعاناة، عاش ليصطلي قرب نار تحرق، ولا تدفئ، على حد قوله.

الحقيقة التي ضحى في سبيلها، وتجرع المرارات وهو يعزف على وترها، ألحان الحرية والمكابرة والقوة، ليضمن لنفسه الخلود كإنسان لن ينساه التاريخ.

لقد ضمن لنفسه الخلود الأبدي وهو يحارب التقاليد والعادات المقيتة التي ابتليت بها قريتنا البسيطة، وأهلها السذج والفقراء.

وها هو الآن يدفع ثمن جهره بالحقيقة، كان ذلك الثمن هو ذهاب عقله وفساده، بحيث لم يترك منه شيئا، ترك جسده النحيل، ينخره الدود ويستمتع به، وترك أسطورته الخالدة، ورسالته النبيلة للناس، والتي تتمثل في محاربة الجهل والتقاليد والأعراف العمياء المظللة للبشرية، ومحاربة الأصنام التي ترسخ ركائز الضعف والجبن، وتجعل من الأفراد، منبطحين، تابعين، لا حول لهم ولا قوة.

كان يبحث عما وراء الحقيقة، فأصبح مصدر قلق للناس يزعجهم بما يفعله، لأن الناس لا يحبون سماع الحقائق، كانوا يفضلون سماع الأوهام والوعود الكاذبة، لذلك يجعلون الكاذب رئيسا عليهم، ينصبونه أرقى المناصب، لأنه يزين لهم أعمالهم، ويصورها لهم في أحسن صورة، ويعدهم وعودا كاذبة، وما يعدهم إلا غرورا.

****

كنت يا صديقي متفوقا علي في كل شيء، إرادتك وقوتك، ولأنني درست التاريخ، تأثرت بالماضي؛ ونظرياته التقليدية، فقرأت الماضي، ونبذت الحاضر، كنت من المخلصين للمدرسة المحافظة، وأتباعها، لذلك تشبثت بتقاليد أجدادي، فسايرت أهل القرية على معتقداتهم وأفكارهم.

كنت أقف موقف التابع الذليل، الذي لا يعترض، ولا يرفض، لذلك سمحت لعائلتي بأن تزوجني بابنة خالي، حيث أجبرتني على الزواج بها، فأطعت دون مقاومة أو عصيان، فتزوجت دون تردد، أنجبت دون تردد، عصيت نظريتك التي تتحدث عن شرط الكفاءة في الزواج، تزوج بالمثقفة، لتعيش الحياة، فخالفت إرادتك وسمحت لهم بأن يزوجوني بامرأة أمية جاهلة وعمياء، لا تعرف شيئا عن التنظير والمثالية، كل همها هو القيام بأعمال منزلية، فأصبحت مثل آلة تشتغل يوميا دون تعب أو ملل، تنهض عند بزوغ الفجر، لسقي الماء، وحلب الماشية، وكنس المنزل...

أما أنت فقد كانت حياتك مثالية في كل شيء؛ تطيل التفكير وتتأخر في اتخاذ القرار، لذلك حرمت نفسك من الزواج من أجل فتاة أهملتك وتركتك في الجامعة، واتخذت غيرك خليلا لها، كنت تشاهد بأم عينك الخيانة وهي تتراقص أمامك، دون أن تفعل شيئا، فكنت عاجزا عن الرد، إلا أن عيونك المتوقدة كالجمر تفضحك، كأنها تخبر عن غيرتك، منذ ذلك الوقت حسبت النساء خائنات؛ فرفضت الارتباط، وفضلت الانعزال والمعاناة في صمت.

كنت شخصية غريبة الأطوار، فريدة في التفكير، تزن الأشياء بميزان العقل، تدقق فيها النظر، لتظهر لنا الحقائق، وتجعلنا نحار ونشك في سلامة عقلك، كنا نعتقد أنك مجنون، والحقيقة أنك لست كذلك، لم تكن سوى صوفي خبر الحياة فأجاد وصفها، دون كذب أو ادعاء، لهذا سميناك ب" الهداوي."

لم تكن سوى عالم مخمول الذكر أو ولي صالح يتبرك به الناس،

لقد وضعوا على قبرك بعضا من الجير الأبيض، لتكون قبلة للناس، ومزار الكل من تذكرك، ولأنك ولي الله فعلا، سيشيدون فوق رأسك قبة تحفظ قبرك من الحر، وتخدم أفكارهم وعاداتهم الساذجة، كنت تحارب أفكارهم الغبية، وها

هم الآن يعتبرونك جزءا لا يتجزأ من عاداتهم وتقاليدهم، يقيمون، " المعروف"؛ بجانبك، فتجتمع القبيلة، لتقيم حفلة على شرفك، يفرح لها الصغير، ويسعد لها الكبير، ويأكل الفقير والغلبان والغريب المسافر، طعام الكسكس، بجانب قبرك، فيأكلون لحم الرأس المشوي، الشهي عند قبرك.

****

كنت تبحث عن نموذج عن الإنسان الأعلى، المتفوق، الذي لا مثيل له، لكنه غير موجود، إلا في مخيلتك ومثاليك، الكل خذلك وتركك وحدك مع أفكارك، ونظرياتك التي تناقض الواقع، وأنت تعرف يا صديقي أن الناس هنا، عديمي المسؤولية، في الزواج وتحمل تكاليفه، فتجد العاجز والمقعد يتزوج، وتراهم يزوجون الأحمق بفتاة عاقلة لتعتني به، وليعقل، وهم فوق ذلك كله يحملون أبناءهم ما لا يطيقون، ويكلفونهم أعباء يعجز عن تحملها الصخر، أما الدواب فهي أول من ينهض باكرا، وآخر من يستريح، كانت الدواب راضية بقدرها الأبدي، القدر الذي جعلك مجنون، وجعل " سيزيف"، يدفع الصخرة نحو قمة الجبل، طوال حياته.

أما أنت فقد أزحت الصخرة عن شمس الحقيقة، حتى أصبحت بادية للناس، وحينما فعلت ذلك، أحرقتك شمس الحقيقة، وجعلتك عبرة لمن اعتبر .

لقد كنت الوقود الذي بفضله تطورت القرية، وتخلصت من أوهامها، كنت تفند الأوهام، وتسقط الأصنام واحدا تلو الآخر، فكفر بك أعيان القرية، واتهمك البعض منهم بالزندقة والإلحاد والكفر.

ذلك كان حال القرية، يعيشون في أوهام، جعلتهم خارج سلسلة التطور، بموالاتهم للأضرحة والإيمان بكرامات الأولياء.

ها أنت ترقد بجانب أخيك عبد الهادي، ووالداك المرحوم سي محمد والمرحومة السيدة عائشة، تشعر الآن بالأمان، الذي كنت تفتقده بيننا، احتضنتك الملائكة وأبعدتك عن الشياطين، أبعدتك عن عبد الرحمان الظالم، فنمت قرير العين، خرجت من الدنيا كما جئت؛ غريب الروح تائه الجسد، تفتت جسدك، أكله الدود، نثرت أشلاؤك كالرماد، أما عظامك فقد دفنت تحت الأرض، بقي قبرك الوحيد شاهدا عليك، أما حكايتك فقد تناساها الناس، فحفظها التاريخ، تكريما لروحك الطاهرة...

تغير كل شيء هنا، مرت سنوات على دفنك، ونشأ جيل جديد تخلى عن القيم والمبادئ، ناهيك عن المعتقدات والخرافات التي كنت تحذر منها، نمى الوعي وتغلغل في نفوس الشباب بتفاهة المعتقدات المرتبطة بكرامات الأولياء، فقطعت الصلة بين الشباب والتقاليد القديم، منع " المعروف"، وقل رواده، بعد تهدم جزء من قبة الولي الصالح سيدي "يعقوب"، وهاجرت فئة كبيرة من الشباب نحو المدينة، للبحث عن لقمة العيش، وضرب الجفاف القرية في سنوات قليلة، فأقفر الوادي وجفت ينابيعه، وجفت الآبار فاستعانوا بشركة أجنبية تحفر بعمق للبحث عن الماء، فلم يجدوا شيئا، فقد مرت سنوات أخرى كاد الناس فيها يلفظون أنفسهم من شدة العطش، تغير كل شيء في غيابك، وأقفرت الحياة من دونك، مضت سنوات وسنوات من الجفاف، تعب الناس من هذا الوضع، فحزموا حقائبهم وأغراضهم، وهاجروا جماعات وفرادى صوب المدينة، لم يبق أحد هناك في القرية، إلا من أجبرتهم الظروف على الجلوس في القرية، فاتخذ له بعض الأعمال البسيطة للعيش مؤقتا ...

مضت أعوام الخير والرزق والبركة وتبعتها أعوام من القحط والجذب، كل هذا وقع في ظرف عشر سنوات تقريبا، وهي مدة كافية للتغيير، الذي عرفته القرية.

هذه القرية الميتة، والهاربة من المجاعة، كلما حل الصيف إلا وبدا الشحوب على الوجوه، التي لا تقوى على شدة الحر...

ينهض الناس باكرا، قبل بزوغ الفجر، لتتمة العمل، ثم يعود وتقبل الظهيرة لمنازلهم الطينية، هروبا من الحر الشديد، في ذلك الوقت بالذات خلال الليل يكون هناك صراع آخر مرير مع حشرات وهوام الأرض، إذ بمجرد ما يكمل القمر دورته، ويصل لليوم الخامس عشر، يطلق أشعته البيضاء ليلا، في ذلك الوقت تخرج الحشرات من جحورها لتملأ الفضاء أو الأزقة والدروب والجدران، الأفاعي والعقارب والخنافس، تخرج دفعة واحدة، لذلك فطن أهل القرية للأمر فكانوا يحملون معهم المصابيح اليدوية، وينفضون الأغطية قبل النوم.

بالنسبة لي كانت العقرب، هي أسوء حشرة عانيت معها في الصيف، ذلك أنني بمجرد ما أرى منظرها، إلا وتشعل القشعريرة في جسدي وتصيبني بالجنون...

آه، لقد أصبح العيش في القرية مؤخرا من رابع المستحيلات، فحتى النمل أصبح متوحشا، ذلك أنها تخذ قراره بالهجوم المباشر على الأجساد الآدمية، ممعنا في اللدغ، حتى لو كلفه الأمر أن يهب حياته في سبيل ذلك...

لقد كفر كل شيء، حتى الحيوانات كانت تعرف ما ينتظرها من عطش وجوع، الكل كان يعلم أننا سنعيش سنوات من الجفاف والقحط.

وقد تبين لي ذلك واضحا حينما هممت بجمع سنبلات القمح، القليلة، لم تستطع التقاط جذوع السنابل الملقاة، ولم يستطع الغربال حصر حبات القمح الصغيرة المتناثرة بعد الحصاد...

آنذاك علمنا أنه الغضب، الذي أهلك الحرث والنسل..

أصبحت القلوب صلبة كالحجر، يائسة من رحمة الله، أعلن كل شيء في القرية غضبه وسخطه، يبست الأشجار، وتهاوت أشجار النخيل السامقة، واحدة تلو الأخرى، فانكشف غطاء الواحة، وتعرى لينكشف وراءه وجه الوادي الجاف، وهو يميل نحو الشحوب، والجبال الحجرية المحيطة بالقرية، ذات اللون الأزرق الداكن، توقفت الحياة فجأة، فأعلنت الطيور هجرتها الموسمية، بحثا عن الماء، كانت تنتقل من مكان إلى مكان، سرب هنا وهناك يتقدمهم الطير القائد، يشكلون دائرة في السماء، ويحلقون بشكل استعراضي دائري، وهم يعلنون موعد الرحيل.

كل شيء تغير منذ سنوات من غيابك، فظلت القرية جزءا من ذكراك الغائبة .

لا تستطيع جميع الكتب الحديث عن حكاية الهداوي، بل تبقى ذكرى حاضرة في قلوبنا وأسماعنا، تبقى حكاية نعيدها لأحفادنا، هي أسطورة القرية الخالدة.

# ذكرى الهداوي:

أقف الآن على قبره، وقد هبت الريح لتحمل معها نسيم الربيع، فتحضر الذكرى الجميلة الخضراء، ذكرى العزيز عبد العالي...

الحكاية التي لن تنساها مخيلتي على مر السنين، والتي أبكتني مرارا، فلترقد روحك بسلام، وليرحمك الله، يا ولي الله الصالح، الذي أخذت منه الدنيا الشيء الكثير، فليرحمك الله، صديقي عبد العالي ...

أيها الهداوي: المتصوف، العاشق، الحبيب...

صديقك: عبد المجيد.

تم بحمد الله،

**زاكورة، 2019 .**

# الفهرس


إهداء: ........................................................................ 8

الفصل الأول: ..................................................................13

الشفاء

الفصل الثاني: ..................................................................18

الجنون والعظمة

الفصل الثالث:..................................................................37

المصير

الفصل الرابع:..................................................................52

كرامات الهداوي

الفصل الخامس:.................................................................. 59

هواجس

الفصل السادس:..................................................................68

العشق

الفصل السابع : ..................................................................73

الاعتراف

الفصل الثامن:..................................................................80

الحقيقة

الفصل الأخير .................................................................. 85

الذكرى:

ذكرى الهداوي:..................................................................96

الدراويش رؤية جديدة



في مجال النشر والترجمة


**www.darawesh.com**
**daraldarawesh@gmail.com**
**https://www.facebook.com/Daraweshplovdiv#/**











**Plovdiv- Bulgaria**
**2019**







المؤلف: الحسين أيت بها

الكتاب : هواجس الضياع

تصميم الغلاف والتنسيق الداخلي للكتاب: نور الدين الوادي

صورة الغلاف: احسان الجيزاني

الطبعة الاولى:2019

**ISBN: 978-619-91054-0-52018**

---



---







---

**جمهورية بلغاريا – بلوفديف**

**ФирмаБадер**

**www.darawesh.com**

**daraldarawesh@gmail.com**






# هواجس الضياع

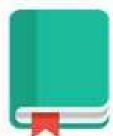


**أقف** الآن على قبره، وقد هبت الريح لتحمل معها نسيم الربيع، فتحضر الذكرى الجميلة الخضراء، ذكرى العزيز عبد العالي...

الحكاية التي لن تنساها مخيلتي على مر السنين، والتي أبكتني مرارا، فلترقد روحك بسلام، وليرحمك الله، يا ولي الله الصالح، الذي أخذت منه الدنيا الشيء الكثير، فليرحمك الله، صديقي عبد العالي...

أيها الهداوي: المتصوف، العاشق، الحبيب...

صديقك: عبد المجيد.





plovdiv together 2019
EUROPEAN CAPITAL OF CULTURE

دار الدراويش للنشر والترجمة
DAR ALDARAWESH for Publishing
daraldarawesh@gmail.com
WwW.darawesh.com
بلوفديف - بلغاريا

